فهرسة
العالم الرباني الكبير
سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني

رضي الله عنه

المتوفى سنة ١٢٢٤هـ

تقديم وإعداد

الأستاذ عبد السلام العمراني الخالدي العراشي

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

فهرسة
العارف الرباني الكبير
سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني
رضي الله عنه
المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ

تقديم وإعداد

الأستاذ عبد السلام العمراني الخالدي العراسي

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : فهرسة العارف الربّاني الكبير
سيدي بن أحمد محمد بن عجيبة الحسني

Title : FAHRASAT
AL-ʿĀRIF AL-RABBĀNĪ AL-KABĪR
SĪDĪ AḤMAD BEN MUḤAMMED BEN ʿĀJĪBAH AL-ḤASANĪ

التصنيف : تراجم وتصوف

Classification: Biographies and sufism

المؤلف : ابن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤ هـ)

Author : Ibn ʿĀjībah al-Ḥasanī (D.1224 H.)

المحقق : عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي

Editor : ʿAbdul-Salām al-ʿImrānī al-Ḫālidī Al-ʿArāʾišī

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	160	عدد الصفحات
Size	17* 24 cm	قياس الصفحات
Year	2013 A.D. -1434 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنان
Edition : 1st		الطبعة : الأولى

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب:٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-7143-6
ISBN 2-7451-7143-7

جميع الحقوق محفوظة
2013 A.D -1434 H.

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وإعداد للفهرسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فهذه [فهرسة] العارف الرباني الكبير، بحر العلوم والفهوم، أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفردوس الأعلى مقره ومأواه، ومن عين التسنيم مورده وشرابه. اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين. وإني بصفتي وارث علومه وفهومه، والمفوض لي من حفدته وأهله في طبع كتبه. فقد منحنا العون الكامل، والتوفيق الشامل، فقد طبعنا لحد الآن من تآليف سيدي أحمد بن عجيبة عشرين تأليفا. تسعة مع بعضها بعنوان: [تسع سلسلات نورانية، من تآليف سيدي أحمد بن عجيبة]. وستة بعنوان: [الجواهر العجيبة، من تآليف سيدي أحمد بن عجيبة]. وشرحه على الأجرومية بعنوان: [الفتوحات القدوسية، في شرح المقدمة الأجرومية] بالنحو والإشارة. وطبعت له شرحه على قصيدة بردة البوصيري، بعنوان: [العمدة، في شرح البردة]. وكذا شرحه لهمزية الإمام البوصيري أيضا، بعنوان: [الأنوار القدوسية، في شرح القصيدة الهمزية]. كما صححت له تفسيره الفذ، المدعو: [البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد] في ثمان مجلدات، وهو بتصحيحنا يباع في العالم الإسلامي. والآن، وبطلب أهله وحفدته وأتباعه، كلفت بتقديم وطبع فهرسته، ليتم النفع به وبعلومه وآثاره، وليعرفه الناس من فهرسته وسيرته. فبها تفاصيل حياته وأعماله ونشاطه، ومن شأن ذلك أن يعتنى به وبنشره. وتلبية منا كعادتنا فقد شرعنا في إعداد

هذه الفهرسة، وتوضيحا لها ولشأنها، فكان تأليفها وتقييدها من طرفه قبل موته بسنتين، وذلك عام ألف ومائتين واثنين وعشرين هجرية، هكذا [1222هـ]. وتعد هذه الفهرسة تحفة عالية، بل تحفا سامية باعتبار مجالاتها: النسبية، والعلمية، والشرعية، والصوفية، والكشف عن الحضرة النبوية والربانية.

وقد اعتمدت فيها على مخطوطتي التي أنهيت نسخها بتاريخ: 12 ربيع الأول، عام: 1398 هجرية، موافق: 20 فبراير سنة: 1978 ميلادية، نسختها من نسخة سيدي محمد بن محمد الزيدي المدعو: الحفيد. المؤرخة بتاريخ: 20 جمادى الثانية، عام: 1392 هجرية.

وقد قارنتها على مخطوطة تطوان، المعروفة بدقتها، والمنقولة من مبيضة مؤلفها وهي بخط سيدي عبد الغفور بن التهامي البناي. فألفيتها مطابقة لها.

وكعادتنا في تقديم تآليفنا، أو تآليف غيرنا، فإننا نذكر في مقدمتها محتوياتها، ليتعرف القارئ الكريم على فحواها في أول وهلة، وهو من إلهامنا، والمنة في ذلك لربنا. وإن تقييد الفهارس وذكر النعم واجب. وقد أشار إليه هذا العارف في صفحتها الأولى فقال: "والتحدث بالنعم واجب، ونشرها لأهل الاعتقاد والتسليم أمر لازب" انتهى. ووفاء لما قلت، فهذه محتوياتها:

تحتوي [فهرسة] العارف الرباني، سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، رضي الله عنه، على سيرته، الكاملة الكافية في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ذكر أسلافه، وما يتعلق بنسبه. والفصل الثاني: في نشأته وتربيته الحسية. والفصل الثالث: في ذكر ابتدائه لطلب العلم الظاهر، وإجازاته فيه من طرف شيوخه، وذكر ما جمعه فيه من التصانيف، وذكر انتقاله إلى العمل والتجرد للعبادة. ثم انتقاله لعلم الباطن، وذكر سياحته في بداية أمره للذكر والتذكير. ثم التحدث عن سنده لطريق التصوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر خصوصيته، ومن أخذ عنه في ذلك. هذا مجمل ما في الفصول الثلاثة، وهذه عناصرها:

.1. ذكر أسلافه وما يتعلق بنسبه.

.2. ذكر نشأته وتربيته الحسية.

.3. ذكر ابتدائه لطلب العلم الظاهر.

.4. ذكر سنده في الحديث النبوي والفقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

.5. ذكر إجازته من طرف شيوخه في العلم الظاهر.

.6. ذكر ما جمعه من التصانيف.

.7. ذكر انتقاله إلى العمل والتجرد للعبادة.

.8. ذكر انتقاله لعلم الباطن وخدمته للشيخ المربي.

.9. ذكر سياحته في بداية أمره للذكر والتذكير.

.10. ذكر ما ارتكبه في سيرته من الأحوال، وما لقيه من الأهوال.

.11. ذكر سنده لطريق التصوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

.12. ذكر من شهد له بالخصوصية على وجه الإخبار، من المشايخ وغيرهم.

.13. ذكر ما شهده من الكرامات الحسية والمعنوية.

.14. ذكر نسائه وأولاده، ونبذة عن النكاح وفضله، وسنته والفصل في ذلك.

.15. ذكر ما حصله من العلوم الظاهرة والباطنة.

.16. ذكر ما أجرى الله تعالى على لسانه من الكلام والحكم نظما ونثرا، في التربية النبوية، والخمرة الأزلية، وما ينهض الهمم في ذلك.

.17. ذكر ما كتبه لبعض المشارقة، ولفقراء بني حسان، وإلى فقراء تازة.

.18. وضعه لحزب الحفظ والتحصين، وحزب العز والنصر، وحزب الفتح.

انتهى.

هذه هي عناصر الفهرسة الذاتية لسيدي أحمد بن عجيبة ـ قدس الله سره ـ

آمين، يسر الله في طبعها ونشرها، ونفع بها قارئها وهاديها. اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

العرائش في يوم الأحد: 4 رمضان المعظم، عام: 1431 هجرية، الموافق: 15 غشت سنة: 2010 ميلادية.

خديم العلم والصوفية، والمفوض له في طبع مؤلفات سيدي أحمد بن عجيبة:

عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي.

نماذج من صور المخطوط

الصفحة الأولى من مخطوطي

-91-

ويا من ردّ يوسف على يعقوب، ويا من أجاب إبراهيم قبل السؤال، ويا من أعطى حبيبه سيدنا محمداً صلّى الله عليه وسلم فوق ما أمّل، أجبْ دعاءنا فيما سألناك، وافتح علينا سريعاً فيما أمّلناك، يا أمل المؤملين، ويا غاية قصد الراجين. حاشاك أن تخيب من قصدك، وتحرم من سألك، وأمرك بين الكاف والنون، إذا أردت شيئاً أن تقول له: كن، فيكون. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. انتهى حزب الفتح وبه ختمت الفهرسة بحمد الله وحسن عونه بعد ظهر تاسع ربيع النبوي، عام ثاني وعشرين ومائتين وألف. عرفنا الله خيره، وصرف عنا شره، آمين.

وفيه غارت بنو حسّان على بني سعيد معتمدين على عُدّتهم وعددهم، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله قوياً عزيزاً. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. أحمد بن محمد بن مجيبة. انتهى. قلت:

قال كاتبه من الميضة عبد الغفور بن التهامي البناي:

انتهى استخراجه من ميضته بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه، ضحوة يوم الاثنين، العاشر من الشهر المذكور، على حسب التاريخ المذكور. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، على يد كاتبه لمؤلفه - رضي الله عنه وأرضاه - العبد الفقير، المضطر إلى رحمة مولاه العلي الكبير، عبد الغفور بن التهامي البناي. كان الله له ولشياخه ولجميع الإخوان.

قلت، ونقلتُ هذا من كناش مخطوط بخط يد الشريف المحترم سيدي محمد بن محمد التريدي المدعو الحفيد. وقد فرغ هو من نسخ هذه الفهرسة، يوم 20 جمادى الثانية، عام 1392 هجرية. وتم - بحمد الله وعونه وحسن توفيقه - نسخها بيدنا يوم الاثنين 12 ربيع الأول، عام 1398 الهجرية، موافق 20 فبراير، سنة 1978 ميلادية - عبد ربه، ورا جي عفوه - عبد السلام بن عبد السلام العمراني الخالدي العرلتسي - لطف الله به في الدارين - آمين.

تمت الفهرسة.

الصفحة الأخيرة من مخطوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

مقدمة المؤلف

الحمد لله الفتاح العليم الحليم الغفار. ذي الطول السابح والفضل المدرار. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نور الأنوار. وسر الأسرار. وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار.

أما بعد: فإن التحدث بالنعم واجب. ونشرها لأهل الاعتقاد والتسليم أمر لازب. وها أنا أذكر بعض ما من الله به علينا. وما يتعلق بأسلافنا. وما يصلح ذكره من أول نشأتنا إلى أوان زماننا. وكيفية أخذنا للعلم الظاهر والباطن. وذكر أشياخنا في العلمين وإجازتهم لنا. ومن شهد لنا بالكمال في الأمرين. وما ألفناه من الكتب وما ارتكبناه في سيرنا من الأحوال. وما لقيناه من الأهوال في طريق الوصال. وبعض ما شهدناه من الكرامات والتأييدات. ومن أخذ عنا طريق التربية من الفقراء السادات. حملني على ذلك أني رأيت بعض الأحباب جمع شيئا من ذلك لكنه ربما وقع منه الزيادة والنقصان. فأردت بعون الله أن أذكر منه ما شهدته العيان. وسمعته الآذان. وليس الخبر كالعيان. وقد فعل هذا غير واحد من المتقدمين والمتأخرين كشيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه جمع كراماته ورسائله بيده، وكذلك الشيخ زروق رضي الله عنه والشعراني واليوسي وغيرهم ذكروا ما منحهم مولاهم من سابق العناية. وما من عليهم من الجلال والجمال بداية ونهاية. نفعنا الله بذكرهم. وخرطنا في سلكهم. ونفعنا الله ببركاتهم آمين. والحمد لله رب العالمين والسلام، وبالله تعالى سبحانه التوفيق.

الفصل الأول
ذكر أسلافنا وما يتعلق بنسبنا

فأما سلفنا فانا عبد الله أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجي بن سيدي عبد الله بن عجيبة المستقر بالخميس ثم إلى سيدي سحنون بن مولاي إبراهيم بن مولاي محمد بن مولاي موسى بن مولاي عبد الله ثم إلى مولاي أحمد بن مولاي إدريس الأصغر بن مولاي إدريس الأكبر رضي الله عنهم أجمعين هكذا رأيت بخط جدي الحسين المذكور أعني الجمع بين النسبتين ابن عجيبة والحجوجي.

ونسبنا يتصل بالولي الصالح العالم القطب الواضح ذي الكرامات العديدة والمآثر الحميدة سيدي الحسين الحجوجي. وسبب جريان هذا اللقب على الجد المذكور أنه كان من أهل الحظوة. فكان كل سنة يقف مع الحجاج بعرفة على سبيل الطي وخرق العادة. فإذا كان يوم النحر غاب من وقت صلاة العيد إلى الضحى الأعلى فيقول الناس له أين كنت يا سيدي الحسين: فيقول: كنت بمنى مع الحجاج. فلم يصدقوه بذلك. فلما كان بعض المواسم غاب على عادته. ثم أخرج لهم رغيفين من رغيف مكة طريين. فصدقوه وصار الناس يقولون إذا رأوه هذا سيدي الحسين الذي يحج ويجيء حتى اشتهر بالحجوجي. ثم سرت في عقبه حتى غلبت عليهم. وخلوته التي كان يتعبد فيها مشهورة بقرب مدشر أجلا وقد تعبدنا فيها بعض الأيام، وكذلك العين التي كان يتوضأ منها وتسمى اليوم بعنصر حسين نسبة إليه. والذي سمعناه من أسلافنا متواترا أنه كان يرعى الغنم لشيخه سيدي عبد الله بن عجيبة فقيل له إن الغنم تقيل في موضع واحد بالجوع والعطش. فرصده ذات يوم خفية فوجد الغنم تعلف الشعير من الأرض. فلما كان وقت سقيها ركز عكازه ففار

الماء. فقال الشيخ حينئذ حسبك من الرعاية أنت اليوم أفضل مني، فمن ذلك يسمى ذلك الماء بعنصر حسين، فقربه الشيخ وزوجه وقبره مشهور بمدشر شرقية في مقبرة الكدان يستسقى به الغمام ويلتجأ إليه في الشدائد والآلام وهو مجرب عند الخاص والعام في أمر المطر إذا كان القحط صب الناس على قبره شيئا من الماء فينزل المطر سريعا نفعنا الله ببركاته آمين. وأما تاريخ وفاته فلم نقف على شيء في ذلك، غير أن الظن القوي أنهما من أهل القرن التاسع خرجا من الأندلس حيث أخذتها النصارى.

ولقد حدثني رجل من مدينة تطوان عاش أكثر من مائة سنة يقال له أفْلمنْك وله خبرة بالتاريخ قال إن سيدي عبد الله ابن عجيبة خرج من سبتة حين أخذت ونزل بشرقيه. هـ. وسبتة أخذت سنة سبع وثمانمائة فيكون الشيخ من أهل القرن التاسع والله تعالى أعلم.

ولم نقف أيضا على تحقيق نسبه، أعني سيدي الحسين، غير أن الظن القوي به أنه من قرابة شيخه سيدي عبد الله ابن عجيبة بل ولد أخيه. ولقد سمعت من أبي رحمه الله أنه سمع الرجل الصالح سيدي عبد الرحمن ابن عجيبة يدعو على من يفرق بين ابن عجيبة والحجوجي. ويقول هما شيء واحد من يفرق بينما لا يربح. هـ.

ولقد وقعت مشاجرة كبيرة بين الفريقين في حياة شيخنا العلامة سيدي عبد الكريم بن قريش حين أرادوا أن يعزلونا من نسب الشيخ سيدي عبد الله ابن عجيبة فحكم لنا بصحة النسب، وأن الألقاب لا تغير النسب من صحة الحوز، وكذلك غيره من العلماء كالقاضي سيدي محمد بن عبد السلام بن عبود وابن عمه سيدي محمد وغيرهم حسبما هو بأيدينا وسيدي عبد الله ابن عجيبة مدفون بين أظهرنا وفي حوزنا نأخذ صدقته وهداياه منذ مائة سنة وأكثر على ما أدركنا عليه أسلافنا عن أسلافهم. ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده المقدس فقال لي: أنت الفقيه ابن عجيبة ؟ فقلت له نعم أنا عبدكم أحمد ابن عجيبة. في رؤيا

طويلة وقال لي أنت ولدي حقا لا تشك.

ولقد حدثني الأستاذ الصالح سيدي الطاهر البقال أنه كان ملازما عند شرفاء العلم في مدشر أفرنو، فأتى إليه ذات يوم رجل صالح من صلحاء الشرفاء كبير السن فقال له أولاد ابن عجيبة هل ينتسبون للشرف أم لا فقال له لا أدري. غير أنهم يدعون الشرف. فقال له الرجل الشريف رأيت البارحة في النوم النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه الفقيه سيدي أحمد وأخوه وهو يمسح على ظهر أحدهما. فلما رآني قال لي يا فلان هؤلاء أولادي حقا. هـ.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: << من رآني في النوم فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي>>. ولقد دخلت، أنا والفقيه الصالح المدرر الناصح سيدي محمد حلتوت على الولي الصالح المجذوب المكاشف سيدي أحمد أبي سلهام وفي قلوبنا أن يخبرنا بصحة نسبنا أو ليخرجنا منه ليزول الإشكال. فلما دخلنا عليه نظر إلينا وقال: كلاكما شرفاء أو من أهل البيت. لا أتثبت لفظه لطول العهد به.

ولقد أضمرت هذه المسألة في خاطري حين قدمت لزيارة شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوي الحسني رضي الله عنه فلما زرناه وبقينا عنده مدة وهممت أن أكتب له بذلك ثم استحييت واكتفيت بعلم الله، فلما انصرفنا عنه كتب لي بأثر انصرافي عنه ما نصه: محبنا في الله الولي الصالح الواعظ الناصح الجامع بين الشريعة والحقيقة الشريف حسا ومعنى أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة الحسنى التطاوني. بعد السلام عليك الخ كلامه في رسالته رضي الله عنه.

وكتب لي مرة أخرى ما نصه: "الولي الشهير العارف الكبير محبنا الشريف الحسني العالم الرباني أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة" ولم يزل يكتب لي بالنسبة هو وتلميذه شيخنا سيدي محمد البوزيدي الحسني رضي الله عنه.

قال الولي الصالح سيدي محمد بوزيان سألني رضي الله عنه يعني الشيخ مولاي العربي يوم أخذت عنه الورد عام تسعة عشر بعد المائتين والألف هل أنا شريف أم لا: فقلت له: لا أدري يا سيدي فكرر علي مرات ثم قال لي: قل ما يقول

أهلك. وأما أنا نعرف الشريف من غيره والحمد لله وأنت شريف. والتفت إلى صاحبيه مولاي الهاشمي المنصوري وسيدي علي الحاج وقال لهما اسمعا ما أقول لكما: إن بعض الأولياء كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك بيده عرق فيمسك عن أكله. وبعضهم كذا، وبعضهم خصهم الله بكذا. وأنا قد خصني الله تعالى بخصوصية وهي أني مهما رأيت الشريف نعرفه من غيره والله على ما نقول وكيل.

ولقد سمعته يقول إنا لنعرف أهل البيت بمجرد رؤيتهم أو كلاما هذا معناه.

ثم التقيت مرة أخرى مع شيخ شيخنا مولاي العربي فأخذنا في الكلام حتى قال لي: أولاد الجعيدي شرفاء فقلت له يا سيدي هل وقفت على صحة نسبنا: فنظر إلي وقال لا تشك. ولقد هممت أن أكتب بصحة نسبكم على ظهر كتابك يعني شرح الحكم كان عنده يطالعه لنستخرج النسخ منه.

وبعد هذا فحسب المرء دينه، وشرفه تقواه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: << إنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى>>. أو كما قال عليه السلام.

ولقد كنت فيما سلف اهتممت بهذا الأمر فوقف علي في النوم رجل بيده كتاب فقال خذ تنظر ترجمة جدكم ففتحت الكتاب فإذا فيه خط رائق فجعلت أتصفح أوراقه لنقف على الترجمة فكلمني فلما نظرت إليه قال لي جدكم هو عبد الله ابن عجيبة بن فلان بن فلان فما زال يذكر (أسماء) الأجداد إلى عمر بن إدريس، فالله أعلم بغيبه. غير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: << الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوءة>>.

وأما شرف سيدي عبد الله ابن عجيبة فمشهور ذكره ابن فرحون والشطيبي وغيرهما ممن ألف في الشرف النبوي.

قلت: وقد كنت أتنكب الانتساب وأتحرج منه في شهادتي وكتبي لعدم

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

تحقق ذلك حتى رأيت شيخنا وشيخه يصرحان به في كتبهما لي ولأخي وهما يتكلمان بالله وينظران بنور الله فعلمت صحة النسبة صحة الحكاية المتقدمة قبلُ. والرؤيا التي رآها الشريف العلمي وغيرها فقوي اليقين بصحة النسبة والله تعالى أعلم.

وجدتنا للأب والأم هي الولية الشهيرة المكاشفة الكبيرة السيدة فاطمة بنت الولي الصالح سيدي إبراهيم ابن عجيبة. كانت من أهل الإغاثة في البر والبحر ولها كرامات.

فمنها أن بعض البحرية طلعت عليهم سفينة النصارى وأرادوا أخذهم واستغلبوا عليهم. وقد حرنت بهم. فقال رئيس السفينة لأصحابه من كان يعرف وليا في بلده فليستغث به. فقال رجل من طنجة اللا فاطمة العجيبية كان يسمع بها فظهرت معهم في المركب وهي تدفع المركب إلى البر وتقول الله الله الرجال فسلموا.

حدثني بهذه الكرامة ابن عمنا سيدي محمد بن إبراهيم زوج عمتي وكان أدركها. قال كنت معها في الفحص في موضع يقال له صيوفة كانت تستعمل فيه الحرث فذهبت في وقت الصيف إلى زرعها فجاء بحري من طنجة على ظهره رزمة من الثياب هدية لها فكلمها من وراء الحائط وقال لها جزاك الله عنا خيرا لقد أغثتنا في البحر أو كلاما نحوه ثم دفع لها الهدية.

ومنها أن امرأة من قبيلة انجرا تلف لها عجول صغار في ليلة مطيرة فخافت عليهم فقالت يا للا فاطمة هم في ضمان الله وضمانك فأصبحت العجول سالمة. فلما قدمت لزيارتها كشفت السيدة عن ساقها وقالت ها هي مكرشة على عجولك ما تتركونا ننام حتى بالليل.

ومنها أن امرأة كانت الحية تأكل لها دود العلوفة فقالت أنا دعوتها لسيدتي فاطمة. فقدمت عليها وقالت: يا للا فاطمة إن حية تأكل لي العلوفة دعوتها لله ولك. فإذا حية طلت في الباب فقالت السيدة: هذه ؟ فقالت المرأة: أي والله هي هذه ؟

فأخذت السيدة بيدها مزربة. وقالت للحية: والله إن عدت لأكل دودها لأدقن رأسك فما عادت بعد ذلك.

ومنها أن نساء قدمن لزيارتها وأخذن شيئا من الشعير للزيارة فلما كن بالطريق استقللنه وقلن ما تصنع به السيدة فخبعنه في الطريق ووصلن فلما رأتهن قالت لهن على البديهة قد أكلت الغنم الشعير الذي تركتن فوجدنه كذلك حين رجعن.

ومنها أنها كانت تكلف من يبيت عندها من النساء الزوار بالطحن لطعام العشاء للزوار والأضياف فقدم لزيارتها نساء فقلن في الطريق كيف نصنع برحى للا فاطمة هي ثقيلة مستثقلات للطحن فلما قدمن وأردن الطحن قامت بيدها وقالت لا تطحن شيئا قد بكيتن الهم لها في الطريق أي اهتممتن بشأنها وكرهتن الطحن بها.

ومنها أن بعض البنات تشابكن فكسرن خرصة وقيل نبالة كانت عارية لبعضهن فجعلن يبكين فدخلت عليهن فقالت ما لكن قلن قد تكسرت خرصة لنا أو نبالة كانت للناس فأخذتها وجعلتها تحت ثيابها ساعة ثم أخرجتها جديدة هكذا حدثتني الأم بهذه الكرامة سمعتها من أمها وكانت حاضرة لأنها كانت زوج ابنها وهو محمد ابن الحسين عم أبي.

ومنها أنها كانت ذات يوم في الفحص فقالت لختنها السيد عبد الكريم اذهب تحتطب لنا من الجبل وأعطته بهيمتين فقال لها ومن يشد معي على البهيمة فقالت إنا نرسل لك من يشد معك فلما احتطب وشد الحزمتين انتظر من يشد معه وجعل يتفكر في نفسه ويقول أين هذا الحامل ومتى يكون فإذا رجل مقبل محزوم كهيئة الحطابين وهو يقول أعون الله فشد معه ظن أنه أحد الحطابين فلما قدم عليها قال لها أما قلت إنك ترسلين من يشد معي فما جاءني من عندك أحد فقالت اسكت قد أرسلت لك الرجل الذي حمل معك ذاك أبي وكان أبوها مات منذ سنين.

ومنها أن القائد الباشا ابن علي أراد أن يغصب لها أرضا يصنع فيها تاوزة فاجتمع الناس لحرثها فهابوا الدخول فيها لما يعلمون من حالها. فقال أحدهم أنا

أبدأ لكم فدخل بثيرانه فجعل في رجله عند أول دخوله عود خرج من أسفل إلى فوق فسقط ففر الناس ولم يتجاسر أحد عليها.

ومنها أنها كانت في الفحص فقالت لختنها المذكور نساء تطاون قد عمرن دارك. فقال والله لأعلمن اليوم صحة قولها فذهب بحمل من الزرع فوجدها كذلك.

ولها كرامات أخر نسيتها. ماتت رضي الله عنها في حدود العشرة الأولى من القرن الثاني عشر وقبرها مشهور يتبرك به بفناء مسجد الخميس قريبا من ضريح سيدي عبد الله بن عجيبة.

وأما أبوها سيدي إبراهيم فقد اشتهر عند الناس أنه كان يحرث بالسبع وذلك أن امرأة كانت قاصدة لزيارة داره فرأت حراثه يحرث بثور سمين فتوحمت على خنشوفته أو تمنتها فكوشف بها وأمر حراثه بذبحه وأرسل برأسه لداره تأكل منه فقال له الحراث: وبما نحرث ؟ فقال: غدا يرزق الله إن شاء الله. فوجد سبعا كبيرا مع الثور الآخر. فقال له السيد احرث به ولا تنخسه. فحرث به أياما ثم نخسه ذات يوم فبهبر عليه وذهب. هكذا سمعت الحكاية من أسلافنا متواترة.

ومثل هذه الحكاية وقعت لبعض الأولياء. وهو الشيخ أبو مدين الغوث شكى إليه رجل أن السبع أخذ حماره وهو بارك عليه يأكله فذهب معه وأخذ بأذن السبع وقال لصاحب الحمار: استعمله مكان حمارك. فما زال يستخدمه حتى مات السبع.

ومثل هذا لا يستغرب من أولياء الله. أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدت المكون كانت الأكوان معك.

وحدثني الفقيه المسن سيدي محمد بن عبد السلام بن عجيبة أنه سمع رجلا مسنا من أولاد الحداد يقول كنت مع سيدي إبراهيم في الفحص في زمن المصيف وكانت حرثه قريبا من حرثي فوضع المخزن على كل من حرث بالفحص مغرما يعطيه للمخزن فجاء صاحب القائد إلى سيدي إبراهيم ليقبض منه ما نابه فأتاني يستسلف مني فقلت له الدراهم عندي ولكن والله لا أسلفك شيئا إذا كنت أنت

تعطي النيبة فما نصنع نحن إذا عندك شيء فأظهره. فتبسم السيد وجلس فقام المخزن يسلك على ظهر فرسه فركله ركلة سقط على ظهره. قال الحداد فقلت هكذا نريد، الآن نسلفك ما شئت. وله كرامات أخر لم أتحقق بصحتها.

وزوج السيدة فاطمة جدي الحسين كان فقيها صالحا ورعا ناسكا وكان ينسخ الكتب وخطه حسن ولم أقف على تاريخ وفاته، وقبره ملتصق بقبر زوجه السيدة فاطمة وترك مع السيدة ولدين جدي المهدي المتقدم وأخاه واسمه محمد وهو أبو الوالدة.

حدثني أنه كان فقيها خاشعا كثير البكاء ترك كتابا كله ممحو بدموعه. وولد لجدي المهدي ثلاثة أولاد أبي محمد وعمي أحمد والحسين مات صغيرا. وأما عمي أحمد فكان عند سيدي عبد الرحمن ابن عجيبة يدرر الصبيان في مسجده.

حدثني أبي أنه بقي عنده سبع سنين يعلم أولاد السيد لله بلا شيء. ثم فرض له الشرط وزوجه ثم مات بالوباء الأولى مع سيدي عبد الرحمن ابن عجيبة في سنة واحدة سنة ست وخمسين ومائة وألف. وأما أبي فمات سنة ست وتسعين بتقديم التاء ومائة وألف. وكان رجلا صالحا صموتا خلويا لا يجلس في الغالب إلا وحده. مشتغلا بما يعنيه، فقيرا من الدنيا يحرث مع الناس بالنهار. ويأتي بحزمة حطب يبيت يقرأ عليها القرآن لأنه لم يحفظه في صغره فندم عليه بعد كبره.

حدثني أنه كان ذات ليلة بائتا في عرصة الجامع فسمع في مسجد الخميس رجالا يقرؤون البردة. قال فذهبت لننظر من هم فوجدت صفا من طرف المسجد إلى الطرف الآخر بعضهم لباسهم أخضر وبعضهم أبيض قال فأخذتني هيبة عظيمة فكلمنى بعضهم فقال: سل ؟ فقلت نطلب القرآن العظيم. فقال: سل شيئا آخر ؟. فأخرست ولم أقدر أن أتكلم بشيء.

وحدثني أيضا قال: كنت ذات يوم نقرأ الحزب مع أبي يعني جدي المهدي. فسمعنا دقا فوق القرمود يدق ويسكت فعل ذلك مرارا فأخرج جدي المهدي يده وقال: ارفع ؟ فسكت ولم يزد.

وأما أمنا فهي رحمة بنت سيدي محمد عم أبي المذكور. وأمها رقية بنت مسعود ابن عجيبة وهي في قيد الحياة متعبدة ناسكة شديدة الخوف من الله تعالى. تقرأ الزروقية بكرة وعشية وتصلية ابن مشيش وأورادا أخر. مع عمارة جل أوقاتها بذكر الله حريصة على فعل الخير، متخلقة بالجود والكرم والحلم والشفقة والرحمة على جميع الخلق، تؤثر على نفسها وتعطي.

حدثتني أنها وجدت بعض النساء يتكلمن في ذات الحق تعالى بعضهن يقول: الله في السماء. وبعضهن يقول لا. قالت الله تعالى ليس في السماء ولا في الأرض أينما تظنه تجده. أو أينما تطلبه تجده.

وكنا ذات يوم نتذاكر، أنا وأخي بمحضرها فقال أخي: لم يتكلم القوم على الجبروت الأسفل. فقالت هي بكلام قوي: معمر غير به ـ أي ما فيه إلا هو. فتبسمنا بالضحك. فقالت ما شأنكم ؟ فقلت لها: ما الذي قلت ؟ فقالت : لم أقل شيئا. ما قلت إلا كذا وكذا. فلم تتفطن لما نطقت به القدرة على لسانها. ثم ماتت رحمة الله عليها منتصف صفر الخير يوم الخميس ودفنت يوم الجمعة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف. وقبرها مشهور بقرب زوجها المذكور. وبالجملة فالصلاح في أسلافنا قديم. وأما العلم والتحقيق فما ظهر فينا إلا في هذا الزمان فلله الحمد وله الشكر على ما أولى وأجزل.

الفصل الثاني
ذكر النشأة والتربية الحسية

حدثتني الأم رحمها الله أني خلقت في مدة حصر المصطادي تطاون وذلك سنة ستين أو إحدى وستين ومائة وألف. والله أعلم.

وحدثتني أنها كانت تقول في مدة حملها بي اللهم ارزقني ذرية صالحة تقول ذلك خلف كل صلاة. وفي رمضان الإجابة.

وحدثتني أيضا أنها كانت في حال تربيتي إذا جاء وقت الصلاة وتمكن الوقت نصيح عليها ونقول قومي تصلي فلا نزال نصيح عليها ونبكي حتى تقوم. فتجعلني في ظهرها وتذهب تصلي. ومنذ أخذت عقلي ما تركت الصلاة في وقتها قط فيما أعقل، وكنت وأنا صبي نتوضأ لكل صلاة ونبل ثيابي. فقالت لي الأم خوفا من عفن الثياب: تيمم وصل. فعلمتني التيمم. فصليت بالتيمم أياما ظننت أن ذلك يصح مع وجود الماء. ثم ردتني إلى الوضوء. ولقد كنت وأنا صغير في المكتب نقوم في نصف الليل ونأتي المسجد الذي في المقابر عند ضريح سيدي عبد الله ابن عجيبة فنؤذن فيه ونجلس إلى صلاة الصبح وأنا حينئذ لا أحسن شيئا من القراءة . وكنت والحمد لله ألهمني الله الخلوة والوحدة لا ألعب مع الصبيان ولا ألتفت إلى ما هم فيه حتى كان بعض النساء يعاتبنني في ذلك. ويقول لي يا فلان الوحدة إنما هي لله فقم تلعب مع الصبيان. فلا ألتفت إليهن.

وقد ألقى الله تعالى في قلبي محبة العلم وأنا في حال الصبا، فقرأت القرطبية قبل ختم السلكة الأولى من غير أن أعرف اسمها غير أني رأيتها تتكلم في أحكام الصلاة. فقرأتها وكنت في صغري أرعى الغنم وأنا مشتغل بالقراءة فكنت نجد في حال رعايتها حفظا كبيرا.

وفي الحديث: <<ما من نبي إلا وقد رعى الغنم>>. وحكمتها تعليم السياسة واكتساب الرحمة والشفقة اللتين هما من شرط صحة الرئاسة، فهي من عنوان الاقتداء وبشارة الاهتداء. فمكثت كذلك مدة فلما حفظت القرآن. سافرت لتصحيح القراءة وتعلم التجويد فمكثت في قراءته خمس سنين بعد حفظ السلكة.

وعمدة أشياخي في قراءة القرآن: جدي المهدي المتقدم. عليه حفظت السلكة. وكان رجلا صالحا صموتا خلويا مغفلا عن أمور الدنيا لا نجده إلا وحده تاليا أو مصليا أو مشتغلا بما يعنيه.

وقرأت أيضا على المقرئ المحقق سيدي أحمد الطالب. والفقيه الصالح سيدي عبد الرحمن الكتامي الصنهاجي. والأستاذ المحقق سيدي العربي الزوادي. والفقيه الصالح سيدي محمد أشمل ومنه اتصلت بشيخنا السملالي على ما يأتي ذكره إن شاء الله.

وكنت أعطيت والحمد لله قريحة وقادة فكنت لا أعطل شيئا من الأيام. فإذا كان يوم الخميس اشتغلت بالكتابة أو قراءة المتون وكذلك أيام العواشر لا أخليها من قراءة العلم. فقرأت مع قراءة القرآن مقدمة الأجرومية. والألفية. وابن عاشر. والخراز. وجزءا من حرز الأماني وغير ذلك من التآليف.

وكنت إذا ذهبت إلى السوق في بعض الأيام ألتمس رجلا أكبر مني علما وسنا فنمشي معه فلا نزال نتذاكر في العلم إلى دخول السوق. فإذا دخلته اعتزلت في بيت وحدي لا أقدر أن أجلس مع أحد، فإذا خرجت منه التمست رجلا كذلك نرجع معه. وإلا ذهبت وحدي. وقدم بي أبي وأنا صغير لمدينة تطاون بقصد زيارة علمائها. فما لقينا إلا الفقيه سيدي أحمد الورزازى رحمه الله. فرأيته رجلا قصيرا خفيف اللحم قليل اللحية رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وكانت نشأتي والحمد لله في صيانة وحفظ ورعاية وعفاف لم يمر علينا ما يلحق حال الشباب من شعبة الجنون. بل عصمنا الله وحفظنا من المعاصي الكبار

بعد الابتلاء والاختبار. فكم من امرأة تهيأت لنا وراودتا عن نفسنا فحال الله بيننا وبينها بحفظه ورعايته فشبابنا كله نشأ في عبادة الله فله الحمد وله الشكر وله المنة والطول.

الفصل الثالث

ذكر ابتدائي لطلب العلم الظاهر

ولما بلغت من العمر تسع عشرة سنة أو ثمان عشرة شرعت في قراءة العلم الظاهر وسبب ذلك أني كنت أقرأ القرآن في قبيلة بني مصور بمدشر دار الشاوي على الفقيه الصالح سيدي محمد أشمل، وقد شهدت له بركة عظيمة في الفتح.

فلما كان ذات يوم راح إلينا الفقيه الصالح العالم الناسك سيدي محمد السوسي السملالي على قدر لما سبق في الأزل من صحبته، وذلك أنه كان مقيما بالقصر الكبير يدرس العلم، فلما قدم لأهله بقبيلة أنجرا مر بنا. فلما نزل عندنا وصلينا المغرب جلست بين يديه فما زلت أسأله عن مسائل العلم وأبحث معه إلى العشاء. فلما رأى قريحتي ولوعتي في العلم سأل عني. فقالوا له هو من أولاد ابن عجيبة. فقال: مثل هذا لا ينبغي أن يترك هنا أو كلاما نحوه. فقال لي: تذهب معي إلى القصر لقراءة العلم فثم من هو أصغر منك. فقلت له نعم وطاش عقلي من الفرح.

فلما سافر إلى داره لحقته ثم سافرت معه إلى القصر الكبير، ومنذ خرجنا من قبيلة أنجرا وأنا ملتزق بركاب بغلته نسأله ونبحث معه في فنون العلم. فإذا رحنا عشية درنا عليه لقراءة الجرومية في الطريق كلها حتى وصلنا إلى القصر. فنزلت معه بالمدرسة التي قرب الجامع الأعظم.

وفي مسجد المدرسة بيت كان يسكنه الفقيه الصالح العالم الناصح سيدي محمد الوريكلي الذي وقعت بينه وبين الرجل الذي ادعى أنه عيسى ابن مريم حكاية غريبة. وذلك أن الرجل أتاه الشيطان فقال له: قل أنا عيسى ابن مريم ونمدك بما تريد. فدخل الجامع الأعظم وقال أنا عيسى. فقالوا ما آيتك ؟ فقال: ما تريدون.

فقالوا له: تأتينا بالطعام ؟ فزلت الموائد. ثم قالوا له تشهد لك هذه الصومعة فتكلمت بالشهادة له حتى انشقت. ولقد رأيت الشق بعيني. ثم ذهب إليه الفقيه المذكور فسأله عن أمر التوحيد فوجده جاهلا فلطمه وأمر بسجنه. ثم تاب على يده. وقد ذكرت الحكاية بطولها في ترجمته في كتابنا: أزهار البستان في طبقات الأعيان.

ولما اطمأن بنا الموضع اشتغلت بقراءة العلم ففنيت فيه فناء عظيما حتى أهملت نفسي ونسيت أمرها. فما كان يقول لي الفقيه إلا البُهلى من شدة الغيبة عن نفسي. وكنا نقرأ عليه سبع مجالس بين الليل والنهار. وذا كان الثلث الأخير من الليل أقامنا للتهجد فنتوضأ وندخل الجامع الأعظم. فيأخذ كل واحد منا سارية للتهجد حتى يقرب الفجر. ثم نرجع إلى المدرسة لقراءة العلم فكانت أوقاتنا كلها معمورة بين مطالعة ومدارسة وعبادة. فأقمت معه نحو عامين. ثم مرضت بالحمى. فقدمت إلى البلد. فأقمت فيه ما شاء الله.

ثم قدمت إلى مدينة تطاون سنة ثمانين أو إحدى وثمانين من القرن الثاني عشر، فاشتغلت بقراءة العلم، واستغرقت أوقاتي كلها فيه.

ثم لحقتني فاقة شديدة لأني استحييت أن أطلب معروفا من أحد فبقيت كذلك مدة. فكانت الوالدة ترسل لي الخبز من البلد ثم فتح الله بالخير الكثير. هذه سنة الله في خواصه كما قال الشاعر:

1 لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لكن حلاوة العلم ولوعته غيبت عني مرارة الفاقة. فأخذت العلم عن الفقيهين العالمين المدرسين سيدي أحمد الرشا وسيدي عبد الكريم بن قريش فلازمتهما سنين فكان مجلس الفقيه الرشا عند حل النافلة، ومجلس الفقيه ابن قريش عند الضحى العالية إلى قرب الزوال، فقرأت على الفقيه الرشا الألفية ومختمر خليل والسلم ومختصر السنوسي في المنطق، والصغرى والكبرى والمقنع والخزرجية.

وقرأت على الشيخ سيدي عبد الكريم بن قريش التفسير والبخاري مرارا

ومسلما ومختصر خليل مرارا والرسالة وتحفة الحكام لابن عاصم، ولامية الزقاق، والألفية مرارا، وابن هشام المحاذي سردا وبحثا وتحقيقا، ولامية الأفعال مرارا وجزءا من المغني والصغرى والكبرى ومختصر السنوسي. والسلم في المنطق. وتلخيص المفتاح في البيان. ومختصر السبكي في الأصول. والشفاء. والهمزية في مدح خير البرية.

وأخذت عن غيرهما أنواعا من العلم كالفقيه سيدي محمد الورزازي أخذت عنه التلخيص والسبكي. وشيئا من الألفية. ومختصر خليل.

وأخذت أيضا عن النحوي الشهير سيدي محمد العباس ألفية ابن مالك بحثا وتحقيقا. وقواعد ابن هشام.

وأخذت أيضا عن القاضي الشهير سيدي عبد السلام بن قريش تفسير القرآن العظيم. وشمائل الترمذي وغيرهما.

وجلست في حلقة الرجل الصالح الفقيه العلامة سيدي محمد غيلان مرة أو مرتين.

وفي حلقة العلامة سيدي علي شطير مرارا.

ولما قدم شيخنا الفقيه العلامة سيدي محمد الجنوي الحسني مدينة تطاون أخذت عنه مختصر خليل. والتلخيص. ومختصر السبكي. وورقات الخطاب في الأصول. والبخاري مرتين. وجزءا من مسلم. والرسالة وحكم ابن عطاء الله في التصوف تبركا. وأصول الطريقة للشيخ زروق في التصوف أيضا. وجزءا من النصيحة الكافية. وأخذنا عنه جزءين من تفسير القرآن العظيم.

وكانت قراءتي والحمد لله كلها ممزوجة بالعبادة. لم نترك قيام الليل إلا نادرا. وكنت نقسم الليل ثلاثا: ثلث للنوم. وثلث للتهجد. وثلث للمطالعة. وكنت ألفت الوحدة. فما كنت أسكن إلا وحدي للتفرغ للعلم والعبادة. وما كنت نجلس في حلقة العلم إلا على وضوء والحمد لله.

ولما توفي شيخنا الجنوي. رحلت إلى مدينة فاس. فسمعت البخاري من

شيخنا شيخ الجماعة العالم العلامة سيدي محمد التاودي ابن سودة سردا مع نكت جيدة وتدقيقات حسنة. وطرف من حكايات الصالحين.

وأجازني إجازة عامة على ما سيأتي إن شاء الله.

وأخذت علم الفرائض عن فرضي وقته العلامة المشارك سيدي محمد بنيس (بفتح الباء وتشديد النون المكسورة) وقرأت عليه أيضا جزءا من التسهيل. وأجازني أيضا في سائر العلوم.

وجلست في حلقة التفسير للورع الزاهد سيدي أحمد الزعري أياما وفي حلقة التلخيص للحافظ الكبير النحوي اللغوي سيدي الطيب ابن كيران. وثم زرت صالحين أحياء وميتين.

ثم رجعت إلى تطاون. فاشتغلت بتدريس العلم. وذكر الله تعالى فردا وجماعة. حتى أخذ الله بيدي بملاقاة الشيخ. شيخنا العارف الرباني الفرد الصمداني سيدي محمد البوزيدي الحسني. وشيخه قطب التربية النبوية. وأصل مادة الطائفة الدرقاوية على ما يأتي إن شاء الله.

ذكر سندنا في الحديث النبوي والفقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا الفقيه العلامة شيخ الجماعة بالمغرب سيدي التاودي بن سودة سماعا وإجازة صحيح البخاري من أوله إلى آخره. إلا ما شذ عن شيخه البركة سيدي محمد جسوس، عن عمه أبي محمد عبد السلام جسوس، عن شيخه سيدي عبد القادر الفاسي، عن شيخه سيدي عبد الرحمن العارف، عن شيخه القصار عن ولي الله رضوان بن عبد الله الجنوي عن سُقين (بضم السين وقاف مخففة) العاصمي عن ابن غازي عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم عن محمد بن عيسى بن أحمد السراج عن أبيه عن جده عن أبي البركات البلقيني عن أبي جعفر بن الزبير عن أبي الخطاب بن خليل عن أبيه عن أبي عبد الله ابن سعادة وفي أول نسخته:

بعد البسملة وبعد قوله: "باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم". وقول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾.

أخبرنا الحافظ أبو علي حسين بن محمد بن فيارة الصدفي. اخبرنا أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي. أخبزنا الشيخ أبو ذر الهُرويّ أخبرنا السرخسي والمستملي والكشميهني قالوا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مطر الفربري قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. قال: حدثنا الحميدي عن سفيان. قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري. قال : أخبرنا محمد بن إبراهيم التميمي عن علقمة بن وقاص عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عله وسلم حديث: << إنما الأعمال بالنيات>>. ويقاس عليه غيره.

وكان من حق هذا السند أن يكتب على أول ورقة من المتن قبل بسملة

البخاري. إذ هو سند نسخة ابن سعادة عن شيخه الصدفي إلى الشيخ البخاري. وكأن إدخاله بعد الترجمة والبسملة من بعض التلامذة الجهلة. والله أعلم. قاله شيخنا التاودي رحمه الله. وقد نظم هذا السند فقال:

1 يا سائلي عن سند البخاري * ما بين سامع وبين قاري
2 أرويه عن محمد جسوس * عن عمه عبد السلام الجوسي
3 عن شيخه الفاسي عبد القادر * عن عمه عن الإمام الماهر
4 قصار عن رضوان عن سقين * عن ابن غازي والسراج يدني
5 محمد عن أبيه عن جده * عيسى عن البلقيني قل من بعده
6 ابن الزبير عن أبي الخطاب * عن أبيه عن صاحب الكتاب
7 ابن سعادة روي عن صدفي * يروي عن الباجي عالي الغرف
8 عن هروي مستملي عن فربري * عن البخاري فاحفظنه وادّر

والجوسي في آخر البيت الثاني أحد أئمة الحديث شبهه. وسمعت البخاري أيضا مرتين من شيخنا المحقق سيدي محمد بن الحسن الجنوي عن شيخه العلامة سيدي التاودي المذكور.

وسمعته أيضا مرارا متعددة ما يزيد على سبع مرات من شيخنا المتفنن المفتي. ثم القاضي سيدي عبد الكريم بن قريش سمعه هو عن شيخه سيدي التاودي المذكور وعن الورزازي الكبير بسند متصل بالبخاري.

وأما صحيح مسلم فأرويه عن شيخنا التاودي المذكور بعضه سماعا وللباقي إجازة عن شيخه العلامة البناني الكبير. شارح الحزب الكبير وهو محمد بن عبد السلام البناني المكنى بالمحجوب. عن شيخه ابن الحاج عن شيخه سيدي عبد القادر الفاسي. عن عم والده سيدي عبد الرحمن العارف. عن الإمام القصار. عن سيدي رضوان. عن سقين. عن زكرياء. عن الزركشي. عن البياني. عن العسكري. عن المؤيد. عن الفراوي. عن عبد الغافر. عن الجلودي. عن الشيخ الصالح إبراهيم بن سفيان. عن الإمام مسلم.

وسمعته أيضا من شيخنا سيدي عبد الكريم بن قريش قراءة وبحثا فالله ينفع به الجميع.

وأما سلسلتنا في الفقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرويه عن سيدي محمد الجنوي المذكور. وسيدي عبد الكريم بن قريش وهما عن شيخ الجماعة سيدي التاودي عن سيدي محمد جسوس. عن العلامة أبي عبد الله المساوي. عن ابن الحاج. عن سيدي عبد القادر الفاسي. عن عمه أبي زيد العارف. عن القصار. عن سيدي رضوان. عن سقين. عن ابن غازي. عن القدري. عن أبي موسى عمر أبي الجاناتي. عن أبي عمران العبدوسي. عن عبد العزيز القروي. عن شيخه أبي الحسن الصغير وأبي الوليد راشد. عن أبي محمد صالح الهسكوري. عن أبي موسى البوناني. عن أبي القاسم بن بوشكوال. وأبي محمد بن عتاب. عن أبي محمد بن أبي طالب القيرواني. عن أبي محمد بن أبي زيد. عن أبي بكر بن اللباد. والابياني ودراس. والأبهري. عن يحيى بن عمر عن سحنون. عن ابن القاسم. عن مالك عن نافع عن ابن عمر. عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.

ذكر إجازة أشياخنا

أولها إجازة شيخنا العلامة شيخ الجماعة بالمغرب سيدي التاودي ابن سودة ونصها:

"الحمد لله رب العالمين وبه أستعين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النور الحق المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فيقول أفقر العبيد وأحوجهم إلى رحمة مولاه الغني الحميد عبد الله سبحانه التاودي بن الطالب بن سودة المري نسبا. الفاسي منشئا ودارا. أن الفقيه الناسك العالم السالك أبا العباس سيدي أحمد ابن عجيبة سألني أن أجيزه فيما سمعه مني وأخذ عني وفي غيره ورغب إلي في أن أكتب له رجاء لبركته فأجبت رغبته ولبيت دعوته إسعافا لا إنصافا. فلست بأهل أن أجيزه. وإنما قضى الوقت برقي الدون مرقى الأكابر. أجزت الفقيه المذكور في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مؤلف وموضوع ومقروء ومسموع إجازة تامة مطلقة عامة بشرطها المعتبر. وقيدها المقرر عند أهل الحديث والأثر حسبما حصل لي ذلك والحمد لله عن جمع كثير وجم غفير من العلماء الأعلام ومشايخ الإسلام ما بين قراءة وسماع ومناولة وإجازة ووجادة ومراسلة. والله تعالى يكون له ويبلغ كلا منا من الدارين ما أمله".

ونص الثانية لشيخنا العلامة سيدي محمد بنيس الفاسي رحمه الله تعالى ورضي عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أحمد الله سبحانه وتعالى على متواتر إحسانه، وأشكره جل وعلا على متواصل إنعامه وامتنانه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة صحيح

الاعتقاد. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله عظيم الجاه يوم يقوم الأشهاد. صلى الله عليه وسلم وعلى آله أولي النهي والاعتماد، ما شرفت هذه الأمة المحمدية بعلو الإسناد.

هذا وإني قد أسعفت الفقيه النجيب العلامة الأريب الماجد النبيل ذا الفهم والذكاء والتحصيل والشيم المتحفة الغريبة العجيبة سيدي أحمد بن سيدي محمد بن عجيبة. متع الله بحياته الإسلام والمسلمين، وأدام النفع به بفضل الله أكرم الأكرمين فيما رغب فيه من الإجازة لا لكوني أهلا لذلك بل لكونه أهلا للمزيد من الكمالات بالتنزيل للارتقاءات.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: << رب مبلغ أوعى من سامع>>. فلم يشترط استجماع الشروط بل السامع على وفق السماع. وصارت الإجازة التي هي نوع من التبليغ من القاصر للأوعى أمرا ذا اتساع.

فلذا أجزت الفقيه المذكور إجازة عامة شاملة في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع ومجاز. حسبما أخذنا ذلك عن عدة من شيوخنا المشارقة والمغاربة. يضيق تقصيهم عنا. وقد سردنا معه أحاديث من كتب عديدة الستة وغيرها. وقرأنا فرائض المختصر. ونبذة من تسهيل ابن مالك.

جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم، وسببا في الفوز بالمقر الأسنى في دار النعيم. بجاه مولانا محمد المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكتبه عبد ربه محمد بن أحمد بن محمد بنيس الفاسي. كان الله له وليا ونصيرا ولجميع المسلمين. بتاريخ 12 شوال عام 1203 هـ.

ونص الثالثة لشيخنا الفقيه الصالح سيدي محمد الورزازي كان الله لنا وله بمنه وكرمه:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

والحمد لله الذي شرع الإجازة. وأعد الأجر العظيم لمن استجاز. وبشر بالنضرة لمن وعى أحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم. وبلغها إلى أمته كما سمعها.

ولهم بها أجاز.

أحمده سبحانه وتعالى على ما خص هذه الأمة بحفظ الإسناد، وحفظ دينها من زيغ أهل العناد، وأشكره عز وجل على ما وصل إسنادنا بسيد الرسل الكرام الحنفا. وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي خصه الله بحسن الأخلاق وكمال الوفاء وعلى آله وأصحابه الذين بلغوا إلينا أحاديثه كما سمعوها منه بالصدق والصفا. فكفى بنا فخرا أن صرنا في سلسلة أولها النبي المصطفى.

وبعد: فقد طلب مني الأخ الصالح والمحب الناصح الفقيه العلامة الفهامة سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الإجازة فأجزته بكل ما تصح لي وعني روايته وكل ما حصلت لدي درايته من مقروء ومسموع ومجاز ومفرق ومجموع إجازة مطلقة عامة بالشرط المعتبر عند أهل هذا الشأن من التقوى والصيانة وضبط الرواية وإتقان الدراية والتثبت والتنقيب عن أحوال الرجال بالرجوع إلى أئمة ذلك. مما هو مسطور بمحله متعارف مقرر عند أهله.

وأحلته على فهرستي التي وضعتها في مشايخي رحمهم الله تعالى ورضي عنهم. متضمنة لأسانيدهم سائلا من المجاز المذكور أن يتحفنا بخالص دعواته في خلواته وجلواته. عسى الله أن يجمعنا عليه ويفرد وجهتنا إليه. وأن يختم بالسعادة أجلنا. ويشرح بالمعرفة صدورنا آمين آمين آمين يا رب العالمين.

قاله وكتبه عبد الله الفقير المسكين المتمسك بعروته الوثقى وحبله المتين محمد بن علي الورزازي وبتاريخ الثاني من جمادى الأولى عام أربعة عشر ومائتين وألف. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

ذكر ما جمعناه من التصانيف بحول الله وقوته

فمن ذلك شرح الهمزية. والبردة للبوصيري. وشرح الوظيفة الزروقية. وشرح الحزب الكبير للشاذلي أفاض الله علينا من بركاته. وشرح أسماء الله الحسنى. أفردت لكل اسم بابا. كما فعل القشيري في التحبير. وشرح المنفرجة لابن النحوي. وشرح تائية الجعيدي في كراس صغير. وتأليف في علم النية. فيه نحو خمسين بابا. وتأليف في ذم الغيبة ومدح العزلة والصمت. وتأليف في الأذكار النبوية عند الأحوال المختلفة. وتأليف في أربعين حديثا في الأصول والفروع والدقائق وتأليف في القراءات العشر مشتملا على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحد منها فيه عشرون كراسة صغيرة. وتأليف في طبقات الفقهاء. وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم. والتعريف بمشاهير أصحاب مذهب مالك من زمانه إلى زماننا. هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحده إلى وقتنا هذا. ثم أتبعتهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية. غير أن الصوفية لم نستكمل ذكرهم.

وابتدأت حاشية على مختصر خليل. وشرحا على الحصن الحصين فلم يكملا. ثم شرحت بعد ملاقاة الشيخ حكم بن عطاء الله. والمباحث الأصلية. وتصلية القطب ابن مشيش. وشرحت فاتحة الكتاب بشرحين بل ثلاثة: أحدها صغير فيه نحو كراسين. والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراسا صغيرة. وآخر صغير جدا فيه نحو ورقتين.

ثم فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربع مجلدات كبيرة. جعلت فيه بين عبارة أهل الظاهر. وإشارة أهل الباطن. سميته البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.

ثم شرحت خمرية ابن الفارض التي قال في أولها:

* شربنا على ذكر الحبيب مدامة *

وشرحت قصيدة الرفاعي التي أولها: يا من تعاظم. وبعض مقطوعات الششتري.

ثم شرحت قصيدة شيخنا الرائية في طريق السلوك. وألفت كتابا في القضاء والقدر ألفته في زمن الوباء.

ثم شرحت أبيات الجنيد " توضأ بماء الغيث. الخ".

وألفت كتابا صغيرا في الخمرة الأزلية.

وكتابا آخر في الطلاسيم التي حجبت عن التوحيد الخاص.

وشرحت تصلية ابن العربي الحاتمي.

ثم شرحت نونية الششتري في أربعة كراريس صغار.

ثم ألفت كتابا في حقائق التصوف فيه ثلاثة كراريس.

ثم شرحت تائية شيخنا في الخمرة الأزلية وما يوصل إليها في ثمانية كراريس صغار أو سبع.

ثم أعدت شرحا آخر عليها فيه اثنا عشر كراسا ونصف صغار.

ثم شرحت الأجرومية جمعت فيه بين النحو والتصوف عبارة وإشارة كصناعة التفسير.

ثم وضعت حاشية مختصرة على الجامع الصغير للإمام السيوطي.

ونظمت قصائد وتوشيحات في فن الخمرة الأزلية وما يرجع إليها، جمعت في ديوان مستقل بعضها في تفسير الملك والملكوت. وبعضها في شأن النفس والعقل والقلب والروح والسر. وما يتعلق بذلك وسيأتي ذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله. كسا الله الجميع في جلباب القبول. وبلغنا من معرفته والوصول إليه القصد والمأمول آمين.

ذكر انتقالنا إلى العمل والتجرد للعبادة

اعلم أن ثمرة العلم العمل، وثمرة العمل الحال، وثمرة الحال الذوق، وثمرة الذوق الشرب. وبعد الشرب السكر. وبعد السكر الصحو. وبعد الصحو تمام الوصال. وهو التمكين والرسوخ في المشهود. فعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية. وعمل بلا حال سير بلا نهاية. وحال بلا ذوق خذلان. وذوق بلا شرب حرمان. وشارب بلا سكر عطشان. وسكر بلا صحو نقصان. وصحو بلا وصول سكره مدخول. وهذه الأحوال لا يفهمها إلا أهل الأذواق بصحبة أهل الأذواق وبالله التوفيق.

ولما حصلنا بفضل الله ما قسم الله لنا من العلم الظاهر انتقلنا إلى التهيؤ للعلم الباطن. وهو العمل بالشريعة الظاهرة، إذ لا ينتقل العمل للبواطن حتى تستقيم الظواهر. إذ الشريعة أبواب. والحقيقة باب وسبب انتقالنا من العلم إلى العمل أني وجدت نسخة من الحكم لابن عطاء الله عند بعض الأصحاب. فنسختها ثم طالعت شرح ابن عبّاد، فلما طالعته زهدت في العالم الظاهر. وانتقلت إلى العبادة والتبتل لذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حببت إلي الخلوة وأبغضت الدنيا وأهلها.

فكنت إذا أقبل إليّ أحد فررت منه. فلما رأى ذلك مني أخي ذهب إلى الوالد. فقال له: إن أخي أخذه وسواس فترك القراءة. واشتغل بالعبادة واعتزل الناس، إذا رأى أحدا فر منه فلا يأوي إلى أحد. فجاء إلي أبي فوجدني متوجها إلى القبلة نذكر الله، فلما دخل علي قمت فسلمت عليه ثم رجعت إلى الذكر ولم أزد معه شيئا.

فقال لي كنا ذات يوم عند الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن عجيبة. فقال لنا: ما ترون هل العالم أفضل أو الولي: فسكتنا. فقال العالم أفضل (كذا). ومد عليه. وإنما حكى لي ذلك ليرغبني في العلم ويحلني من ذلك التبتل.

فقلت: له أما العلم الذي نحتاج إليه فقد قرأته. وما أريد أن أكون قاضيا ولا مفتيا. ولا أزيد على ما قرأت شيئا والله لا أرجع عن هذا أبدا. فقال لي: الله يعينك.

وقول سيدي عبد الرحمن: العالم أفضل. هو على مذهب أهل الظاهر. وقد ذكر ابن زكري في شرح النصيحة خلافا كبيرا بين العلماء أيهما أفضل هل الولي أو العالم: فرجح عند بعضهم أن العالم أفضل لعموم نفعه. وليس كذلك. ومنشأ الغلط عدم التمييز بين الولي والصالح فلعله عندهم شيء واحد وليس كذلك.

فالولي هو من ارتفع عنه الحجاب حتى دخل مقام الشهود والعيان وفتحت له ميادين الغيوب. فلم يحجبه عن الله شيء.

والصالح من صلحت ظواهره بالتقوى وعمر أوقاته بالطاعة. فلا شك أن هذا العالم أفضل منه.

وأما الولي الذي ارتفع عنه الحجاب فلا أحد أفضل منه إلا مقام النبوءة والرسالة. لأنه في مقام الصديقية التي تلي درجة النبوءة.

ولعل هذه الدرجة هي التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام بقوله: << من مات يطلب العلم ليس بينه وبين النبوءة إلا درجة واحدة >>.

فتكون الدرجة التي بينه وبين النبوءة هي درجة الولاية. وهي درجة الصديقين. فالمقامات أربعة:

مقام الرسل والأنبياء. ثم الأولياء. ثم العلماء والشهداء. ثم الصالحون. قال الجنيد رضي الله عنه: لو نعلم تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا ـ يعني علم الباطن ـ لسعيت إليه ولو حبوا ". وكان كثيرا ما ينشد:

1 علم التصوف ليس يدركه * إلا أخو فطنة بالحق معروف

2 وليس يبصره من ليس يشهده * وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

وقال في « الإحياء » لما تكلم على معرفة الله والعلم به قال: "والرتبة العليا في ذلك للأنبياء. ثم للأولياء العارفين. ثم للعلماء الراسخين. ثم للصالحين". فقد قدم الأولياء على العلماء.

وقال القشيري في رسالته: « فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه. وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه ». هـ.

فسئل ابن رشد عن قول القشيري والغزالي حيث قدم الأولياء على العلماء هل هو صحيح ؟ فقال ما قاله الأستاذ والغزالي متفق عليه ولا يشك عاقل أن العارفين بالله وما يجب له من الكمال. أفضل من العارفين بأحكام الله.

قال لأننا رأينا الفسق في العلماء كثير. بخلاف الأولياء.

ثم أطال الكلام في ذلك. نقله في: المعيار. وقد نقلته بتمامه في شرح المباحث حيث قال:

1 إن العلوم في مقام البحث * وان الولاية في مقام الإرث

وقال فيها أيضا:

1 حجة من يرجح الصوفيه * على سواهم حجة قويه

وليس التفضيل عند المحققين بكثرة الأعمال كانت عامة أو خاصة. إنما التفضيل عندهم بقوة اليقين وتحقيق المعرفة برب العالمين. وكشف الحجاب. ومحو الشكوك والأوهام والاضطراب. فبهذا يحصل القرب من رب الأرباب.

وأما عموم النفع فقد يحصل ممن لا مقام له عند الله. قال صلى الله عليه وسلم: << إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر >>.

ثم نرجع إلى ما كنا بصدده في الفهرسة من ذكر وقت التبتل والعبادة. وإنما ذكرنا هذه المسألة. لقول الرجل الصالح سيدي عبد الرحمن بن عجيبة: العالم أفضل. فيظن من لا تحقيق عنده أنه صحيح فذكرنا التحقيق في المسألة

والحديث شجون.

فأقول لما حببت إلينا الخلوة كنت أخرج إلى قبة سيدي طلحة أتعبد فيها ومرة أخرج إلى قبة سيدي عبد الله الفخار فأتعبد فيها وكنت أسكن في القرية التي بنيت هناك للرجل الصالح الناصح سيدي علي بركة. فكنت أصلى في الضحى نحو خمسة عشر حزبا من القرآن وفي الليل كذلك. ولا أفتر من ذكر الله ليلا ولا نهارا فبقيت كذلك أياما. فرأيت سيدي طلحة في النوم وأنا عند ضريحه فانحنى علي حتى مس شعر لحيته وجهي. فقلت في نفسي نشاوره في هذا الأمر الذي أريد وكنت عزمت على بيع الكتب والطلوع إلى جبل مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه للتعبد. فلم يكن قدر الله ذلك. فقلت له يا سيدي إني أريد أن أترك العلم وننقطع للعبادة والتبتل. فقال لي اقرأ فقلت له العلم. فقال لي نعم اقرأ العلم غاية غاية. فرجعت لطلب العلم. ولكن كانت الروح شورت إلى مولاها. فكان القلب كله مع الله. فكنت أجلس في حلقة العلم أدبا مع الشيخ الذي أمرني بالعلم ولا ندري ما يقول المدرس. شغلا بذكر الله. فبقيت في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حتى حفظت دلائل الخيرات على ظهر قلبي ثم ظهر لي ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في السبحة أقرب للحضور فكنت أصلي عليه عددا كثيرا. فكنت إذا استغرقت في الصلاة على رسول الله أشرقت علي أنوار وظهرت لي زخارف وقصور وخوارق. فنعرض عن ذلك. وقد رأيته عليه الصلاة والسلام في النوم مرارا.

ثم حبب إلي القرآن العظيم. فكنت لا أصبر عنه وكنت أقرأ في الصلاة قائما. فإذا ضعفت صليت جالسا. وربما ختمت في الشهر أربع عشرة ختمة. ثم قرأته باللوح فقرأت رواية المكي والبصري. وبدأت السبع فلم أدركه. وكنت لا نقرأ في اللوح حتى نطالع التفسير ونفهم المعنى فبقيت كذلك مدة إما ثلاث سنين أو أربع.

ثم تزوجت سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف زوجتي الأولى رحمة بنت

السيد أحمد الجعيدي من نسل الولي الشهير سيدي علي الجعيدي. وسيأتي ذكر الزوجات الباقيات إن شاء الله .

ثم جلست لتدريس العلم الظاهر مع الاجتهاد المذكور. فبقيت كذلك خمس عشرة سنة أو ست عشرة. وقد حصل التدريس مني في مدينة تطاون في سبعة مواضع في جامع القصبة. وفي جامع الجعيدي. وفي مسجد الساقية الفوقية. وفي زاوية ابن ناصر. وفي زاوية احنصل. وفي زاوية ابن مرزوق. وفي زاوية سيدي السعيدي. وفي مواضع أخر بعضها قبل ملاقاة الشيخ. وبعضها بعد ملاقاته. فانتفع بنا والحمد لله في العلم خلق كثير. وتاب على أيدينا بشر كثير.

ولقد كنت رأيت الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه في النوم وأنا صغير حين شرعت في قراءة العلم. فقال لي الزم فوالله ليأخذن عنك العلم أربعة وأربعون عالما. وهذا والله أعلم في العلم الظاهر. وأما علم الباطن فلا يحصون والله أعلم.

وكنت جلست للتدريس سنة تسعين أو إحدى وتسعين ومائة وألف. والتقيت بالشيخ وأخذت عنه علم الباطن سنة ثمان ومائتين وألف والله تعالى أعلم.

ذكر انتقالنا لعلم الباطن

اعلم أن علم الباطن مداره على تصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل. فإذا تطهرت من الرذائل وتحلت بالفضائل أشرقت عليها الأنوار، ولاحت لها الأسرار. فتكاشف بالحقائق العرفانية والأسرار الربانية. فيعثر صاحبه على معرفة العيان وينال مرتبة مقام الإحسان. فهذا محصل علم الباطن.

ثم نرجع إلى ما كنا بصدده من الفهرسة.

فنقول ولما رجعت إلى فاس المرة الثالثة لزيارة الأشياخ الذين أحذت عنهم العلم الظاهر. جزت في رجوعي على بني زروال لملاقاة الشيخ مولاي العربي. وسيدي محمد البوزيدي رضي الله عنهما.

فلما قدمت عليهما فرحا بي فرحا شديدا ونظرا إلي نظرة تغني فلقيت أولا سيدي محمد رضي الله عنه. فقال لي بمجرد لقيته: جعلك الله كالجند يتبعك أربع عشرة مائة مرقعة. أو قال لي: تكون كالجنيد. لا أدري أيهما قال.

ثم ذهب بي إلى مولاي العربي فلما زرته قال لي: جعلك الله كالجيلاني. فقال له سيدي محمد: أنا قلت له كالجنيد. فقال: يجمع بينهما إن شاء الله . فوجدت لدعائهما بركة عظيمة وبركة كبيرة. فبقيت عنده ثلاثة أيام نتذاكر في العلوم وأسرار التوحيد فأعطاني التجيبي نطالعه. وشرح الرائية ننسخه. فلما أردت الانصراف قلت للشيخ مولاي العربي: أنا من أصحابك. فقال لي مرحبا بك. لكني لم أطلب منه تلقين الورد . لأني كنت سمعت بفاس أن سيدي علي الجمل لم يكن له ورد إلا الصحبة.

فانصرفت إلى تطاون وأنا أحس من نفسي قوة عظيمة وخمرة قوية حتى أحس بها الناس. فكانوا يقولون جاء فلان في هذه المرة في حالة أخرى غير ما كنا نعرف. فجعل شيخنا سيدي محمد البوريدي الحسني رضي الله عنه يكاتبني

ويحضني على الصحبة والوصول. فكان مما كتب به إلي: إن أردت مفاتح العلوم ومخازن الفهوم فعليك بالقدوم.

ويقول لمن يقدم عليه من فقراء تطاون: والله إن حاجته لعندي. فليقدم علينا. فلم يقدر لي ذلك. حتى قدم علينا بنفسه رضي الله عنه فلقنني الورد. ثم نهضت على يده جزاه الله عنا أحسن جزائه.

ولما لقنني قلت له: أنا بين يديك افعل بي ما شئت. فقال: تبارك الله عليك. ثم التفت إلى بعض أصحابه فقال لهم: سيدي أحمد متصف بالزهد والورع والتوكل والصبر والحلم والرضى والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم. حتى عد نحو اثني عشر مقاما. فقلت له يا سيدي هذا هو التصوف. فقال هذا تصوف الظاهر وبقي تصوف الباطن ستعرفه إن شاء الله.

ثم جعلت أزوره وأتردد إليه تارة بغمارة. وتارة ببني زروال. حتى فتح الله علينا بالفتح الكبير. فلله الحمد وله المنة والطول. لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

ذكر خدمتنا للشيخ بنفسنا ومالنا

اعلم أن خدمة المشايخ ومحبتهم هي سبب الظفر بالسر الأكبر، وما نال أحد مرتبة من مراتب الولاية إلا بالصحبة والخدمة. إلا من سبقت له مجاهدة كبيرة. قبل ملاقاة الشيخ كالشيخ الشاذلي وأمثاله فتكفيه الملاقاة وبعض الصحبة وقليل ما هم. مع أن الشاذلي ما تكمل إلا بالمشرق على يد رجلين وامرأة. كما قال الطرطوشي: ولا يكمل الرجل كمال الرجال إلا بخدمة الرجال كما قال سيدي عبد الوارث رضي الله عنه حيث قال:

1 خدمـــــــة الـــــــرجال * ســـــــبب الوصـــــــال

2 لمولـــــــى المـــــــوال * لا إلـــــــــــــه إلا الله

وانظر قضية التباع والغزواني. وسيدي عبد الله الوزاني وغيرهم من الأولياء والصالحين ما نالوا مرتبة الولاية وكمال الصلاح. إلا بخدمة مشايخهم.

وكذلك حال شيخنا رضي الله عنه. بقي خادما على باب شيخه ستة عشر عاما أو نحوها.

وكذلك شيخه قال رضي الله عنه: بقيت في صحبة شيخي سيدي علي رضي الله عنه بفاس سبع سنين. ورحلت إلى بني زروال. فبقيت نتردد إلى زيارته سبع سنين كان يقدم عليه مرتين في السنة. فيقدم عليه في الزيارة ببقرتين للخليع وحملين من الزبيب وحمل من البلوط.

وأما أنا عبد الله فلم تمكن لي الإقامة معه للقيام بالعيال وسياسة الفقراء. فكنت نتردد إليه في الزيارة لبني زروال نقيم معه ما شاء الله. ثم يرسلنا. فكان يقول لنا: ترددكم إلينا في الزيارة متعطشين أنفع لكم من الإقامة معنا.

ولما رحل لزاويته بغمارة جعلت أتردد إليه في الزيارة هناك وأقيم معه أياما

نتفنن في العلوم اللدنية والأسرار الربانية. فأنا الذي بنيت غرفته التي يسكن فيها والقشينه والحمام. وذلك لما زرت معه مولاي عبد السلام رضي الله عنه مع جماعة من الفقراء. ونظر إلي وقال: نحبك أنت والحاج أحمد البسيري تبنون لي الدار بغمارة فلما قدما من الزيارة. قال الحاج أحمد: أنا لا نقدر على شيء. فذهبت أنا بأربعة من المعلمين اثنان يبنيان واثنان يصنعان القرمود. فأسسنا الدار وبنينا المدخل والاروى وفوقهما الغرف التي يسكنها الشيخ. ثم بنينا بيت النار والحمام. فبقي الصناع هناك نحو الشهر. فناب البناءين من الأجرة ست وثلاثون مثقالا. والأخيرين أربع وعشرون مثقالا. وكنت دفعت في قطع الخشب تسع مثاقيل فناب الجميع تسع وستون مثقالا. فبعت بعض الكتب وتسلفت الباقي. فخلص الله الجميع.

فبنى الله لي في مقابلة ذلك ثلاثة ديار دارا ببني سعيد. ودارا بقبيلة أنجرا. ودارا بفحص طنجة. غير أن التي بالفحص لم يوافق الشيخ على سكناها. فخربت. وهذه عادته تعالى فيمن خدم أولياءه أن يعطيهم أكثر مما يعطوا.

ولما قدم لزاويته أرسلني أخطب له من شيخه. فامتنع وقال: لم تكن صحبتنا لهذا الأمر. واعتذر بأنه كان خطبها منه ابن عمه.

ثم خطب له ابن عمه سيدي محمد بن علي بوزيد من الشريف الرحموني.

فجهزنا له أنا وأخي بمائة وأربعين مثقالا وصحفة من القمح وثور وما يقيم ذلك. فلما قدمنا بها وأردنا الانصراف. رفع يديه مع من حضر من الفقراء فقال: بارك الله فيكم وفي ذريتكم وأولاد أولادكم ومن تعلق بكم إلى يوم القيامة.

وكنت سمعت هاتفا حين كنا نشتري له الكسوة يقول: اصبروا فدعوة منه تخدم عليكم وعلى أولادكم. فكانت تلك الدعوة التي ذكرنا.

ثم بنينا العين في دار شيخه ببنى زروال فدفعت خمس مثاقيل للشيخ دفعهما للمعلم.

ثم بنينا المسجد الذي ببني زروال أنا وأخي. خدمنا فيه بأنفسنا وأموالنا وحملنا الخشب من غمارة على عواتق إخواننا.

ثم بنينا ضريح سيدي يوسف الدرقاوي. فنال الفقراء من ذلك مشقة كبيرة. وذلك سبب ربحهم وراحتهم.

ثم لم يزل يرسل إلي وإلى أخي في حوائجه ومآرب داره. فنقوم بها بحول الله وقوته. فجل زاويته قائم بنا والحمد لله.

هذا في عالم الحكمة وأما في عالم القدرة. فما ثم إلا الله الحي القيوم. فلا شيء معه أصلا. فهو الذي يقوم بأمر عباده. وخصوصا أمر أوليائه.

لكن الأمر كما قال في الحكم: إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك. وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ذكر سياحتنا في بداية أمرنا للذكر والتذكير

ولا بد للفقير من السياحة في بدايته لأن السفر يسفر بالبعد عن العيوب ويطهّر النفوس والقلوب. ويوسع الأخلاق. وبه تتسع معرفة الملك الخلاق. لأن المسافر كل يوم يشاهد تجليا جديدا. ويلقى وجوها لا يعرفها ولا يأنس بها. فتتشحر معرفته بذلك. وتتسع معناه.

وقد قالوا: الفقير كالماء إذا طال مكثه في موضع واحد تغير وأنتن. قال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه: أقل السياحة أربع عشرة سنة. هـ.

والظاهر أن غايته التمكين من شهود الحق. وهو متفاوت على قدر الاجتهاد والقريحة. فمنهم من يتمكن في أربعة عشر. ومنهم قبل ذلك. ومنهم بعد ذلك والله يؤتى فضله من يشاء والله واسع عليم.

ولما فتح الله علينا في علم الحقيقة أذن لي الشيخ في الخروج إلى تذكير عباد الله وتلقين الأوراد. فخرجت في جماعة من الفقراء فبتنا أولا عند أولاد الشاط. ثم سرنا في قبيلة انجرا نذكر الناس ونلقن الأوراد مدشرا مدشرا. والناس يدخلون في دين الله أفواجا. ثم خرجنا إلى فحص طنجة. وسرنا فيه كذلك والفقراء في غاية السكر والقوة. فلما وصلنا إلى البحر عاموا كلهم بثيابهم. وكان الوقت أيام الليالي. فبتنا في مدشر العوامة بعد ذلك العوم الحسي والمعنوي فدخل في طريق القوم ونحن فيه نيف وأربعون رجلا.

ومررنا بالفقيه الصالح سيدي محمد بن عبد الله السريفي في مدشر دار أزهيرو. ثم مررنا بمدشر شراقة وبذريون. ثم إلى بحراين. والناس يتوبون إلى الله ويرجعون إليه أفواجا. فانقلب الفحص كله يذكر الله. وعلقت الناس التسابيح في

أعناقهم. ودخل معنا كثير من أصحاب المخزن. وعلقوا التسابيح. وتابوا إلى الله.

ولما رأى ذلك عامل طنجة كتب إلى السلطان سليمان يقول له: إن رجلا يقال له الفقيه ابن عجيبة خرج إلى الفحص فانقلب الفحص كلهم فقراء وعلقوا التسابيح في أعناقهم وتركوا العسة.

قال له: علق أنت التسبيح معهم واذكر الله. هكذا بلغني فالله أعلم. فاجتمع معي من الفقراء مائة وعشرون. واهتز الوجود من ذلك الفيض. وشاع خبرنا شرقا وغربا. وحيي الدين بإذن الله. وكثر اللهج بذكر الله والحمد لله.

ثم رجعنا إلى قبيلة انجرا وذهبنا إلى ناحية سبتة نذكر الناس مدشرا مدشرا حتى بلغنا إلى مدينة سبتة. فهبطنا تحت الشبر قريبا من سور المدينة. فعقدنا هناك حلقة الذكر. وخرج النصارى راكبين وراجلين فتبعنا نصرانيان منهم مجذوبان حتى إلى دار بيضاء فوقفا حتى غبنا عنهما.

ثم مررنا بالجانب الآخر من القبيلة حتى خرجنا إلى عين الصغير ومررنا ببني عتاب.

ثم رجعنا إلى دارنا بتطاون. فتركنا في تلك السفرة نحو ثلاثين مدشرا كلها تذكر الله جماعة بمقدمها.

ثم خرجت في العام الثاني فخرجت إلى حوز تطاون من ناحية البحر فبدأنا بمدشر بني سالم وصلنا إليه ليلا. فهربوا منا وسدوا باب المسجد حتى انصرفنا عنهم. ثم تابوا وأمرونا بالرجوع إليهم. فلم يأت إلينا منهم غير رجل واحد.

ثم مررنا على تلك المداشر نعلمهم الدين ونذكرهم الله. ولما وصلنا إلى مدشر واد الزرجون رمونا بالحجارة وصفروا علينا فضرب الحجر واحدا من الفقراء على كتفه. ونحن نذكر الجلالة لا نلتفت إليهم حتى وصلنا إلى جامعهم فبتنا عندهم فلم يأت منهم إلا القليل.

ثم مررنا على الكوف وخرجنا إلى قبيلة أنجرا فذكرنا وعلمنا ما كان بقي منهم.

ثم خرجت مرة أخرى إلى قبيلة انجرا مع فقراء غمارة وسربة كبيرة من فقرائنا. فلما وصلنا إلى أولاد أبي العيش منعونا أولا من الوصول إليهم. وتلقانا بعضهم بالعكاكيز. ثم أتى عقلاؤهم فأنزلونا في ديارهم وأكرمونا. فذكرناهم الله فتابوا ورجعوا وندموا على ما فعل سفهاؤهم.

ثم قدمنا إلى القائد قنجع فمنعنا أولا أصحابه ثم خلوا سبيلنا فبتنا في المسجد فوجدناهم قد خملوا حصوره وتركوه أرضا بيضاء فأرسل القائد العشا. ثم أرسل إلي أنا وأخي نقدم إليه لداره. فذهبنا فذكرناه وعلمناه ما شاء الله من أمر دينه. ثم سافرنا عنه.

فمررنا بزاوية أولاد الجعيدي وفيه لقنت أخي علم الحقيقة فبقينا ما شاء الله في القبيلة نذكر الناس. ثم رجعا إلى بلادنا.

ثم خرجت في العام الثالث إلى ناحية الفحص. ثم وصلت إلى مدية أصيلا والعرائش. ودخل هناك سربة من الفقراء في الطريق.

ثم زرنا الولي الصالح مولاي بوسلهام. ثم وصلنا إلى المهدية.

ثم قدمنا إلى مدينة سلا والرباط فأقمنا عندهم مدة. فقرأت معهم خمرية ابن الفارض وتصلية القطب ابن مشيش. وعمرنا عندهم أسواقا كبيرة بذكر الله. فأفدنا واستفدنا.

ثم رجعنا إلى وطننا. ثم خرجت إلى قبيلة بني سعيد وقد كنا نمر عليهم في زيارتنا للشيخ. ودخل منهم خلق كثير في طريق القوم.

ثم قدمت إلى بني حسان مرارا. كنا إذا رجعنا من بني زروال نمر عليهم. فدخل منهم في الطريق خلق كثير. فبنوا هناك زاوية في نسلان يجتمعون فيها. وقد وصلنا إلى مداشر كثيرة من بني حسان فأحياهم الله ونورهم بذكره. وتخلصوا من كثير من تلك البدع التي كانت عندهم على أيدينا ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: << لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير

لك مما طلعت عليه الشمس وغربت>>. كما في الجامع الصغير.

وفي رواية البخاري: <<خير لك من حمر النعم>>.

وقال عليه السلام: << إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية. وعلم بثه في صدور الرجال. وولد صالح يدعو له بعد موته>>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1] أي ومن أحياها بالعلم واليقظة.

وقال بعض الشعراء في هذا المعنى:

1 والمـــرء فـــي ميـــزانه أتـــباعه * فأقـــدر إذا قـــدر النبـــي محمـــد

وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

(1) سورة المائدة، الآية 32.

ذكر ما ارتكبناه في سيرتنا من الأحوال وما لقينا من الأهوال في طريق الوصال

اعلم فهمني الله وإياك سبيل أوليائه. وسلك بي وبك مسلك أصفيائه. أن طريق السير لا بد فيها من خرق العوائد واكتساب الفوائد ومجاهدة النفوس لتدخل حضرة القدوس. "كيف تخرق العوائد. وأنت لم تخرق من نفسك العوائد".

"لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين". فما تميزت العموم من الخصوص إلا بمجاهدة النفوس. وأعظم العوائد التي يجب خرقها على النفس العز والمال. فيبدل العز بالذل. والغنى بالفقر. فالذل والفقر بابان عظيمان للدخول على الله والوصول إلى حضرته.

قيل لأبي يزيد من قبل الحق تعالى من جهة الهاتف: يا أبا يزيد خزائننا معمورة بالخدمة ائتنا من كوة الذل والافتقار.

وقال الجيلاني رضي الله عنه: أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها الزحام. فأتيت باب الذل والفقر فوجدته خاليا. فدخلت. وقلت: هلموا.هـ.

والمراد بالذل الذل بين الأقران حتى يراه الخاص والعام وكل من كان يعظمه من الأصحاب والإخوان. والمراد بالفقر إخراج المال من اليد وخلو القلب من الشغل به.

قلت: وقد كنت قبل أن أدخل في طريق القوم متلبسا بشيء من الدنيا. كان عندي بستان وعرصتان من اللشين من قبل الحُبُس وبقرة تحلب وملاح الملح وخزانة من كتب العلم. فلما دخلت في الطريق ذهب ذلك كله وبقيت كما قال

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾[1] الآية. وبعت كتب العلم الظاهر. وأنفقت جل ذلك على الشيخ في بنيان داره بغمارة وفي تزويجه. وبعض مآربه.

وكنت حائزا لرئاسة العلم. معظّما عند الخاص والعام. نتردد إلى الولاة في الشفاعة. مبتلى بذلك حتى قال شيخي الفقيه الورزازي لما دخلت في الطريق وتركت ذلك كله قال للناس: كنا نستعين به في هذه الوجهة وكنت ملحوظا عندهم بالصلاح التام. متهما بالولاية الكبرى في حسبانهم فكنت إذا خرجت إلى السوق يتساقط الناس علي للزيارة.

فلما قبضت الورد من شيخنا البوزيدي رضي الله عنه. لبست جلابة غليظة من جلاليب أبي نداف. كانت لبعض أصحابنا. فلما رآني الشيخ بها فرح فرحا شديدا وتحقق أنه سيفتح علي في أسرار الحقائق. وكنت حين لبستها بائتين معه عند الحاج الزكامي في عرصته خارج تطاون فدخلت المدينة بتلك الجلابة والفقراء معي يذكرون الهيللة والناس ينظرون ويتعجبون.

فلقد سمعت نفسي من داخل تغوت وتصيح. والعرق يسيل مني لأن هذا أول خرق رأيته. ثم قال لي الشيخ ألزم جلابتك. فلبست الجلابة أياما. ولما علقت السبحة الغليظة في عنقي ودخلت إلى الدار بالجلابة والسبحة في عنقي. قام أهل الدار في رد ذلك. فلما رأوا عزمي سلموا وبكوا علينا بكاء الميت. وتعزوا فينا تعزية الميت. فكانت القوافل من النساء تأتي أهل الدار وتعزيهم فينا. وحزن علينا أهل تطاون حزنا شديدا.

ولما رأيت الناس لم يفارقوني بعد هذا استأذنت الشيخ في لبس المرقعة. فأذن لي. فلما لبستها فر الناس مني. فوجدت الراحة الكبيرة.

وتفرغت لسلوك الطريق. ثم كتب الشيخ إلي أن أخرج عن كل ما يفضل عليك من الرزق وتصدق به ولا تمسك إلا ما تتقوت به أنت وأهل دارك والفقراء يوما أو يومين. فكنت أخرج ما يزيد على الكفاية وربما نقوم في الليل نخرج ما في

(1) سورة الأنعام، الآية 94.

الدار تسترا من النساء. فبقيت مدة على ذلك. حتى تحلينا بالفاقة وكبر اليقين.

ثم كتب إلي أن اخدم الفقراء واغسل ثيابهم بنفسك واشتر لهم الصابون وصبن لهم برجلك وأطعمهم ما عندك. ففعلت ذلك مدة.

ثم أمرني بالسؤال في الحوانيت وأبواب المساجد. فما رأيت في الدنيا أصعب منه ولا أجهز لأوداج النفس منه. ولقد كنت أخرج بنية ذلك وأدور في السوق فيمنعني الحياء. فأرجع وأغبط من يفعل ذلك من الفقراء. وكانت نفسي تتمنى الموت الحسي مرارا في اليوم.

حتى إذا كان يوم جمعة حلفت لها باليمين المغلظة لتبدأن اليوم فلما سلم الإمام خرجت إلى باب الجامع فجلست بين عجائز سعيان بعضهم عميان وبعضهم فقراء. ومدت يدي معهم للسؤال. فكان الناس يمرون بي ويغطون وجوههم حياء مني لئلا يروني في تلك الحال. ففعلت ذلك مرارا جالسا معهم. ثم قمت إلى الباب ومددت يدي إلى الناس. ثم فعلت ذلك في جوامع تطاون كلها.

ثم انطلقت إلى الحوانيت والأسواق. فكان وردي ذلك كل يوم بعد صلاة العصر. فبقيت كذلك ما دمت في تطاون.

ولما استأذنته في العزلة والصمت. كتب إلي أن اذهب إلى السوق واجلس فيه من البكرة إلى العشية. تفعل ذلك يوما بيوم. قال لي يوما تذكر فيه الأحباب. ويوما تحبس في السوق.

ففعلت ذلك مدة شهر رمضان نقيل في السوق مرة جالسا ومرة راقدا إلى العصر. ثم أذهب للورد المذكور.

ثم أمرني بتشطيب السوق وحمل زبله على عنقي إلى خارج المدينة فكنسته ثلاث مرات أو أربع. وكنت أحمل الزبل على كتفي. وكان أيام الشتاء فربما يسيل منه على ظهري.

ثم أمرني بركوب الحمار ونسير به في الأسواق. فركبته خمس مرات. وتسايرت به المدينة كلها. وكنت أتعمد به أهل الإنكار. وكذلك السؤال كنت أقصد

به أهل الانتقاد والإنكار أكثر من غيرهم. لأستخرج منهم ما تموت به النفس. وكنت أتعمد به أيضا من كان يعظمني وأقاربنا أكثر وكنت ألح في السؤال عليهم وأظهر لهم الرغبة في الدنيا قصدا للإخلاص وقتل النفس.

وأمرني أيضا بحمل الجراب وهزّ أقرب، فكنت أحمله على ظهري وأنا إمام فنعلقه في المحراب. فإذا فرغت من الصلاة علقته في عنقي. فإذا خرجت للسؤال حملت جرابين واحدا من قدام وآخر من خلف. وربما لبست سبع قربان. وأخرج إلى السوق. وكنت أسمع الهاتف يقول زد صف سبيكتك. ومرة يقول زد على يدك. وهكذا من التأييدات.

ثم سقيت بالقربة في الأسواق والطرق والحوانيت ولم يأمرني به الشيخ. غير أني سمعت أن مولاي العربي رضي الله عنه. استعمله في سيره وخرابه. فاستعملته.

فكان بعض الكرابين يعطيني القربة ويملأها لي بالماء ويعلقها لي في عنقي ويعطيني الشناشيل التي تصوت ويعطيني خنشة للفلوس. ثم نخرج نسقي. فإذا فرغت رجعت إليه يعمرها مرة أخرى. كنت أفعل ذلك أيام الموسم حين يتزين الناس لعيدهم ويجلسون في الطرق. فأطوف عليهم بقربتي نسقيهم. فإذا قالوا لي هل بالفلوس أم لا ؟ أقول لهم: بل بالفلوس. ولا نظهر لهم شيئا من الزهد. فإذا قبضت شيئا دفعته لصاحب القربة. فكان يفرح بذلك. فعلت ذلك أسقي أياما ما دمت في تطاون.

وكان شيخنا وشيخه مولاي العربي رضي الله عنهما يأمراني بالخروج من المدينة ويقولان: المدن عوائدها كبيرة وهرجها كثير لا تليق بالمريدين. فلم نقدر على الخروج لكثرة العيال. وقد تربوا في المدينة فشق علي إخراجهم. وكنت تزوجت في قبيلة انجرا امرأة أخرى. فكنت نجمع بين الحاضرة والبادية.

فلما جاء الوباء وذهبت الصبيان إلى الله تعالى. خرجنا من المدينة مع السبب الذي نذكره في ذكر امتحاننا بالسجن إن شاء الله، فبنيت دار بني سعيد عام

عشرة ومائتين وألف. وتزوجت فيها عام خمسة عشر. وعمرت دار الزميج عام ستة عشر. وكانت بنيت قبل ذلك بمدة. اشترينا البلد بثمانين مثقالا. ثم شرعنا في البناء.

فانتقم منا أهل المدشر فسعوا بنا إلى عامل طنجة. فأخرجنا منها كرها. ثم بنينا في موضع آخر فيه فشكوا بنا ثانيا. فأخرجونا وحرقوا البيت الذي سقفنا والمسيد الذي كنت نسكن فيه، ونهبوا ما وجدوا فيه من الفراش وغيره. وقلعوا ما كنا غرسنا من أشجار اللشين وغيرها.

وفي هذه الوقعة ضرب المقدم شيخ القبيلة بالخدمي وفر إلى بني سعيد. فقبض على جميع الفقراء. وفر بعضهم إلى سواحل البحر فأخذ منهم المخزن مائتي مثقال ظلما. فرجع حينئذ عن الطريق خلق كثير عز عليهم المال. كان دخولهم على حرف وكانوا لم يتمكنوا من حلاوة الطريق فنفضهم ريح التصفية. ولم يبق إلا الصحيح.

ولما انتقلت الدولة عن ذلك الظالم وجاء عامل آخر. كلمته القبيلة في شأننا. فقال: إن جاءوا بعقودهم نرد إليهم بلدهم. فذهب المقدم إليه مع بعض الفقراء

فرد عليهم البلد. فبنينا حينئذ الدار التي تسكن اليوم سنة أربع عشرة أو خمس عشرة من القرن الثالث عشر والله تعال أعلم.

ذكر امتحاننا بالسجن والخروج من الوطن

ولما ظهر الطريق وانتشر ذكر الله في البلاد. نقم علينا بعض من ينسب إلى وزان. فعمل علينا ببينات جلها زورية بأحوال ظلمانية يريد بذلك إطفاء نور الله والله متم نوره.

ثم إن بعض العوام ادعى على أخي أنه دخل داره ولقن امرأته الورد في غيبته. وهو بريء من ذلك. إنما لقنها مع بعض النساء في دار غيره. وهو لا يعرفها. فشكا ذلك الرجل إلى سيدي علي بن أحمد بن القطب الوزاني بوزان. فأرسله إلى قائد تطوان يشتكي بحاله.

وكتب فقيهه الفلوس إلى القائد يأمره بقبض أخي. فأمر بقبضه. فلما بلغني أنه مقبوض بقبيلة انجرا خرجت معه حتى قدمت معه إلى القائد. فلما أمر بسجنه قال لي: أنت لا دعوى لي عليك. فقلت: أنا لا أفارق أخي. فأمر بسجني معه. ثم قبض فقراء تطاون كلهم. فكانوا معنا في السجن.

ثم قدم علينا فقراء تازة لزيارتنا وفيهم العالم الكويهن والعارف المكودي فسجنوا معنا. فبقينا في السجن ثلاثة أيام. والله ما رأينا أياما كانت أطيب من تلك الأيام. انقلب السجن زاوية وصار كله يذكر الله. وانفتح باب السجن للداخل والخارج وانبسط أهل السجن وزال غمهم ما دمنا معهم. وقد لقنت الورد في السجن لبعض المسجونين خمسة أو أربعة. وأتت أنواع الأطعمة حتى طعم أهل السجن كلهم وبقي الخير.

ثم إن القائد الصريدي جمع العلماء والشرفاء وأكابر أهل البلد ثم أخرجنا من السجن. وأمرنا بالرجوع عن طريق الله. وأكرهنا على ذلك. فرجعنا بألسنتنا

وأعطينا شهادتنا بالرجوع. والقلب مطمئن بالإيمان. ثم أرسل إلى الفقيه الكويهن وقال له يناظرك أهل العلم فإن غلبوك رجعت. وإلا نكلنا بك ورددناك للسجن.

فقال لهم أعطوني الإنصاف وعينوا من يتكلم معي وأنا أتكلم معه. فقال الفقيه الجنوي الصغير: أنا أتكلم معك.

فقال له صاحبنا الكويهن: ماذا تنكر علينا ؟ فقال له الجنوي هذه المرقعة.

فقال له ماذا تنكر منها ؟ فقال لبسها. فقال له: نبينا صلى الله عليه وسلم هل التزم لباسا مخصوصا وزيا معلوما لم يتعده: أو كان يتلون في اللباس: فقال له لم يلتزم لباسا مخصوصا.

فقال: ولم أنكرتم علينا المرقعة: وقد لبسها سيدنا عمر ولبس مصعب بن عمير فروة كبش في جلد. فقال له الجنوي: هذا ليس بحديث.

فقال الكويهن: اشهدوا عليه أنه ليس بحديث. ونحضر كتب الحديث. فامتنع من الإشهاد عليه.

ثم طال الكلام على غير الإنصاف. وتكلموا كلهم بالحمية والعصبية. فأمر القائد برده إلى السجن. ثم التفت إلي وقال لي: ترجع إلى مسجدك وتدريسك. وأخوك كذلك. وإلا ضربت القيد على أرجلكما وسجنتكما.

ثم كتب إلى السلطان يعلمه بذلك. فكتب إليه: إن لم يرجع الفقيه ابن عجيبة عن ذلك. فقيده واسجنه وأرسله إلي.

ثم أخرجونا من الزاوية وشدوها. وأخرجوا الكويهن من السجن وأصحابه. فسافروا إلى بلادهم. وأما نحن فبقينا ما شاء الله ففررنا بأنفسنا. فذهب أخي إلى بني زروال. ثم إلى تازة. ثم لحق بالشيخ بتلمسان. وقد كان أمره شيخه مولاي العربي رضي الله عنه بالذهاب إليها خوفا عليه من السلطان.

وأما أنا فخرجت إلى قبيلة بني سعيد فبقيت فيها نحو خمسين يوما. وأسست فيها دار سكنانا اليوم بإذن الشيخ. وذلك سنة عشر من هذه المائة الثالثة عشرة.

ثم أمرني الشيخ بالخروج إلى قبيلة انجرا. فبنينا دارنا التي نحن فيها. وقد تقدم حديثها.

وقد كان الشيخ رضي الله عنه أخبر من طريق الكشف أنه يكون لي داران. وذلك أن فقراء انجرا لما بلغهم أني عزمت على السكنى في بني سعيد ذهبوا بهدية إلى الشيخ ورغبوا إليه أن يسكن في قبيلتهم. فقال لهم سيدي أحمد له داران . دار ببني سعيد. ودار بانجرا. وله أربع نسوة ولم تكن لي حينئذ إلا واحدة. فكان الأمر كما أخبر رضي الله عنه.

ولما بلغ خبرنا إلى فاس عاتب أهلها أهل تطاون على ما فعلوا بنا. وعابوا عليهم ذلك أشد العيب. وانتصر لنا الفقيه العالم الأديب الشريف العلمي سيدي سليمان الحوات. فأنشد قصيدة يعيب فيها على أولاد ابن ريسون لأنهم كانوا جادين في رجوعنا عن هذه الطريق وخص بالخطاب كبيرهم سيدي علي ابن ريسون. فقال فيها:

1 أبـا حـسن كـن مـثل والـدك الـذي * تغـيب فـي سـكر الـشهود عـن الحس

2 وإلا فأصـلح مـنك بالـزهد فاسـدا * وكـن واثقـا بالمـوت يـصبح أو يمـسي

3 ولا تعتـرض مـا لـست تعلـم حكمـه * ودع عـنك حظ النفس والرجم بالحدس

4 وأنصف ولا تجحد إذا كنت عالما * بعلـم غـد كعلـم مـا مـر بـالأمس

5 فمـا بـالكم تـسعون سـعي معـارض * لطائفـة التجريد في الـضرب والحبس

6 فكـيف يهـين ابنـي عجيـبة مـسلم * وعلمهمـا بـالله أجلـى مـن الـشمس

7 وعـالم تـازا لاح بـدر سـعوده * فظـن لـديكم انـه كـوكب الـنحس

8 كأنـك لـم تعـرف حقـيقة سـرهم * ولـم تعتـرف مـنهم بـنوع ولا جـنس

9 هـم القـوم كفـوا أنفـسهم ولـسانهم * ومـن يـستطع كـف اللـسان والـنفس

10 أهانـوا يـدا كانـت تمـد تكبـرا * للـثم فمـدوها إلـى طلـب الفلـس

11 وقـد عوضـوا عـن الـشغوف عـباءة * مـرقعة قـرت بهـا العـين فـي اللـبس

12 وفـروا إلـى الله علـى حـين علمهـم * بـه تاركـين الخلـق فـي مجهـل اللـبس

13 فدونك نصحي يا ابن ريسون واشتغل * بنفسك عـن الـناس مـن عمـر أو قـيس

14 ولا تـرى إلا الله فـي كـل وجهـة * وبـع صـفقة الأكـوان بالـثمن الـبخس

15 فهـذا أبـوك الغـوث كـان كمـا تـرى * وكـم قـبله مـن عـارف زاهـد جـرس

16 أمـا لـك فـي الـشيخ ابـن سـودة إسـوة * أمـا أنـه فـي العلـم تـاج علـى الـرأس

17 وكـان أميـر المؤمنـين محمـد * يذكـر فـي حـق الـزوايا بمـا ينـسي

18 ومـا ظـن فـيهم ريـبة قـط لا ولا * سـقاهم كغيـره نقـيعا مـن الـبأس

19 وهـذا ابـنه فـي العلـم والـدين قـدوة * ومـا حـط مـنهم لا بجهـر ولا همـس

20 فـسلم هـداك الله تـسلم ولـو لمـن * تخـبطه الـشيطان يـوما مـن المـس

21 وأتّـى سـليمان بـن عمـك لا أرى * سـهام لكـم يرمـي بنـصح عـن القـوس

22 وحبي لكم قوي انتصاري لهم فكن * كهـم لا تـرى بغيـر ربـك مـن أنـس

وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ذكر سندنا لطريق التصوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم

اعلم أرشدك الله إلى طريق التحقيق. وسلك بنا وبك مسلك التوفيق. أن سلوك طريق التصوف. وخصوصا لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد جامعا بين حقيقة وشريعة. لأن الطريق عويص. وأدني زوال يقع عن المحجة يؤدي إلى غاية البعد عن المقصود.

قال أبو الحسن الششتري: ولابد أن يتحكم ـ أي المريد ـ لمن يأمره وينهاه ويبصره. فإن الطريق عويص قليل خُطّاره كثير قطاعه. وقد يظن السالك أنه على جادته. وهو قد ولى ظهره لموضع توجهه منه. فإنه إذا خرج منه أنملة فقد خرج وانقطع. فإنه طريق دقيق. ونفس متصرفة في البدن. وهي الراحلة عنه. وعادة مألوفة. وشيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله. هـ.

وقال في « العوارف »: المقصد الكلي هو الصحبة، وبالصحبة يرجى للمريد الخير.

روي عن أبي يزيد أنه قال: من لم يكن له إمام فإمامه الشيطان. وقال: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر، وإذا أثمرت لا يكون كثمار البساتين المغروسة.

وقال أبو عمران الرجراجي رضي الله عنه: لو أن رجلا كشف له عن الغيب. ولا يكون له أستاذ لا يجيء منه شيء.

وقال إبراهيم بن شيبان رضي الله عنه: لو أن رجلا جمع العلوم كلها. وصحب طوائف الناس. لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح. ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب أعماله. ورعونات

نفسه. لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي: كل من لا يكون له في هذا الطريق شيخ. لا يفرح به. بل ولو كان وافر العقل منقاد النفس. واقتصر على ما يلقي إليه شيخ التعليم فقط. فلا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المربي. لأن النفس أبدا كثيفة الحجاب عظيمة الإشراك. فلابد من بقاء شيء من الرعونات فيها. ولا يزول ذلك عنها بالكلية. إلا بالانقياد للغير، والدخول تحت الحكم والقهر. وكذا لو سبقت له من الله عناية. وأخذه الحق إليه وجذبه إلى حضرته لا يؤهل للمشيخة ولو بلغ ما بلغ

وقال في « لطائف المنن »: وكل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع. ويكشف له عن قلبه القناع. فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له. دَعِي لا نسب له. فإن يكن له نور فالغالب عليه غلبة الحال والغالب عليه وقوفه مع ما يرد من الله إليه. لم ترضه سياسة التأديب والتهذيب. ولم يقده زمام التربية والتدريب. هـ.

وقال شيخا البوزيدي رضي الله عنه: من لم يصحب الفحول بقي في الوهم موحول.

فنقول أخذنا طريقا هذه عن الشيخ العارف الواصل سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني عن شيخه الكامل القطب الواصل سيدي العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني. عن شيخه العارف بحر العرفان ومعدن الشهود والعيان سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الحسني المكنى بالجمل. عن شيخه العارف سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله أخذ طريق الجيلانية عن القطب الجامع سيدي أحمد اليمني. أتى بها من اليمن عن شيخه البرموني. وأخذ الشاذلية عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله. وأخذ أيضا سيدي أحمد بن عبد الله عن سيدي أحمد اليمني مشاركا لوالده فيه لما مات شيخه سيدي قاسم الخصاصي. تركه لم يرشد. وقال له: يأتيك من يكملك. فلما أتى سيدي أحمد اليمني كمل به وأنفق عليه نفقة كبيرة في حكاية طويلة.

وفي سيدي أحمد بن عبد الله التقى البحران بحر الشاذلي وبحر الجيلاني.

فأخذ الجيلانية عن اليمني. وأخذ الشاذلية عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله.

وأخذ سيدي أحمد عن سيدي قاسم الخصاصي كما تقدم. وأخذ سيدي قاسم الخصاصي عن العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي. وعن سيدي محمد بن عبد الله. والد سيدي أحمد بن عبد الله. وهما عن القطب سيدي يوسف الفاسي. عن القطب سيدي عبد الرحمن المجذوب. عن شيخه سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار. عن شيخه سيدي إبراهيم أفحام. عن الشيخ سيدي أحمد زروق. عن شيخه سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري. عن القطب سيدي علي بن وفا. عن والده سيدي محمد بحر الصفا. عن سيدي داوود الباخلي ويقال الباقري. عن سيدي أحمد بن عطاء الله. عن القطب سيدي أبي العباس المرسي. عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي. عن القطب سيدي عبد السلام بن مشيش. عن شيخه القطب سيدي عبد الرحمان المدني. عن تقي الدين الفقير (بالتصغير) لقب نفسه بذلك. عن القطب فخر الدين، عن القطب نورالدين. عن القطب تاج الدين. عن القطب شمس الدين. عن القطب زين الدين محمد القزويني. عن القطب سيدي إبراهيم البصري. عن أبي القاسم سيدي أحمد المرواني. عن القطب سيدي سعيد. عن القطب سيدي سعد. عن القطب فتح السعود. عن القطب سيدي سعيد الغزواني. عن القطب سيدي جابر. عن أول الأقطاب سيدنا الحسن. عن والده سيدنا علي كرم الله وجهه. عن النبي صلى الله عليه وسلم. عن سيدنا جبريل، عن رب العزة العظيم الجليل.

وذكر ابن عطية الفاسي طريقا آخر تتصل بالجنيد. فقال: وأخذ أيضا عن سيدي عبد الرحمن المدني. عن القطب سيدي عبد الله التنايري عن سيدي أبي بكر الشبلي. عن القطب الجامع سيدي أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه. عن خاله سيدي سري السقطي. عن شيخه سيدي معروف الكرخي. عن شيخه سيدي داوود الطائي. عن شيخه سيدي حبيب العجمي. عن شيخه سيدي الحسن البصري. عن أول الأقطاب سيدنا الحسن بن علي. عن والده سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله

عنه - وفي رواية أن الحسن البصري هو الذي أخذ عن سيدنا علي كرم الله وجهه ـ عن سيد الأولين والآخرين إمام العارفين وقدوة الواصلين مولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.

وذكر ابن عطية أيضا سلسلة أخرى للحضرمي تتصل بالجيلاني. تركتها اختصارا. فهذه سلسلة أشياخنا رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم آمين.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: << والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون في الأرض بالنصيحة>>.

وهذا هو وصف المشيخة، لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقة ويحبب عباد الله إلى الله.

فأما وجه كون الشيخ يحبب عباد الله إلى الله لأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن صح اقتداؤه أحبه الله. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1].

وأما وجه كونه يحبب الله تعالى إلى عباده لأنه يسلك بالمريد طريق التزكية. وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكس فيها أنوار العظمة الإلهية. ولاح فيها جمال التوحيد، وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة جلال القدم. ورؤية الكمال الأزلي. فأحب العبد ربه لا محالة، وذلك ميراث التزكية. قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾[2] وفلاحها الظفر بمعرفة الله. هـ . من الفاسي.

ثم قال: فالمشايخ لما اهتدوا أُهِّلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة للمتقين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل: << إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكري، فإذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه. لا يسهو إذا سها

(1) سورة آل عمران، الآية 31.

(2) سورة الشمس، الآية 9.

الناس. أولئك كلامهم كلام الأنبياء. أولئك الأبطال حقا. أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم>>. هـ.

وشروط الشيخ أربعة: علم صحيح. وذوق صريح. وهمة عالية. وحالة مرضية. قاله الشيخ زروق رضي الله عنه.

والمراد بالعلم ما لا بد منه مما يتقن به فرضه من العلم الظاهر، ولا يشترط علمه بالفروع.

وأما علم الباطن فلا بد من التغلغل فيه، إذ به يسير المريدون. والمراد بالذوق أن يكون أخذه بالوراثة والتربية لا بالنقل من الكتب.

والمراد بالهمة العالية: أن لا تتعلق بالدنيا.

والمراد بالحالة المرضية: الاستقامة في الظاهر والباطن. وهي الحالة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشروط المريد أربعة أيضا: قصد صحيح. وصدق صريح. وآداب مرضية. وأحوال صافية.

وآدابه مع الشيخ ثمانية: أربعة في الظاهر. وأربعة في الباطن.

أما التي في الظاهر. فأولها: امتثال أمره وإن خالف رأيه وفهمه، واجتناب نهيه وان وافق فهمه. فخطأ الشيخ أصلح من صواب المريد. ويقدم على الوالدين لأن أمر الشيخ ونهيه نفع للروحانية الباقية، وأمر الوالدين نفع للبشرية الفانية. وأبو الأرواح مقدم على أبي الأشباح. إذ هو ينظر بالبصيرة. وهما ينظران بالبصر.

وقد نص على هذا البلالي في « اختصار الإحياء ». والشيخ السنوسي في "شرح نظم الجزيري".

وثانيهما: تعظيمه واحترامه في الظاهر. فلا يرفع صوته عنده ولا يتكلم حتى يستدعيه منه. ويكون بقدر الحاجة. ولا يضحك بين يديه. وهو من أقبح الأمور. فإذا كان فتبسما. ويجلس بين يديه كجلسة الصلاة. أو على قدميه ويديه على ركبتيه. ولا يفرش بين يديه ما يجلس عليه، ولا يلتفت عنه في مذاكرته. بل يجمع همته معه.

ويكون كالجالس على البحر. ينتظر ما يرزقه الله منه.

وثالثها: تسليم أموره إليه، فلا يفعل شيئا مهما إلا بإذنه إلا في الواجبات والضروريات. فبقدر ما يسقط التدبير مع الشيخ يسقطه مع الحق حين يوصله إليه. فهذه الآداب إنما هي تدريب للحضرة، إذ الطريق كلها آداب. فمن أساء الأدب مع الأحباب طرد إلى الباب. ومن أساء الآداب بالباب طرد إلى سياسة الدواب.

ورابعها: صحبته والجلوس معه حتى يرشده. إلا أن يأمره بالجلوس في موضع آخر فالمواصلة واجبة. فمدد الشيخ كالقادوس أو الساقية. فبقدر المرور معه ينطلق الماء. وبقدر الغفلة عنه يقل ماؤه أو ينقطع. وقد قال سيدي عبد الرحمن المجدوب:

1 لا محـــــب إلا بوصـــــول * ولا وصـــــول إلا غالـــــي

2 ولا شـــــراب إلا محـــــتوم * ولا مقـــــام إلا عالـــــي

فالشراب المحتوم والمقام العالي. إنما يكونان بالشرب من مدد الشيخ، والشرب على قدر الصدق. والصدق على قدر المحبة. وعلامة المحبة الاتباع والتعليم.

وأما الآداب الباطنية: فأولها: المحبة والهيبة للشيخ. فبقدر ما يفنى في الشيخ يفنى في الحق. وتعظم المحبة بالنظر إلى محاسنه وحسن شمائله واستقامته.

وثانيها: ترك الاعتراض عليه في الباطن. فهو أقبح من الاعتراض في الظاهر. وقد قالوا من قال لشيخه: لم ؟ لا يفلح.

وانظر قضية الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام. فهي مبنى طريق الصوفية رضي الله عنهم. وقد أشار إليها صاحب العينية بقوله:

1 وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا * إلى شيخ حق في الحقيقة بارع

2 فقـــم فـــي رضـــاه واتـــبع لمـــراده * ودع كل ما من قبل كنت تصانع

3 وكـــن معـــه كالمـــيت عـــند مغـــسل * يقلـــبه مـــا شـــاء وهـــو مطـــاوع

4 ولا تعتـرض فـيما جهلـت مـن أمـره * علـيه فـإن الاعتـراض تـنازع

5 وسلم له فيما تراه ولو يكن * على غير مشروع فثم مخادع

6 وفي قصة الخضر الكريم كفاية * بقتل غلام والكليم يدافع

إلى آخر كلامه، انظره.

وثالثها: اعتقاد كماله وأنه أهل للمشيخة. لجمعه بين الحقيقة والشريعة. وكمال الاستقامة. كما تقدم في شرطه. ولا يشترط فيه العصمة.

فقد سئل الجنيد: أيزني العارف ؟ فقال: وكان أمر الله قدرا مقدورا. والولي تقع منه الهفوة والهفوات. غير أنه لا يصر عليها. ويجب تأويل ما يصدر من الشيوخ. مخافة أن يكون اختبارا. كما وقع لكثير فطرد قوم. وربح قوم. فشد يدك يا أخي وإياك والميزان.

وقد قال شيخ شيوخنا سيدي علي لتلميذه مولاي العربي رضي الله عنهما: يا هذا شد أذنيك وغمض عينيك وعض بأسنانك وشد ببنانك وإلا طرنا عنك وتركناك.

ورابعها: عدم التشوف إلى غير شيخه والانتقال عنه. وقد عدوا هذا من أقبح كل قبيح. وأشنع كل شنيع. وأفظع كل فظيع. وهو تسويس لبذرة الإرادة.

وقولهم أثبت تنبت. والنبات مشروط بصحة النواة. فمثل هذا لا يزيده المقام معه إلا نفارا. ولا تزيده مرور الأيام إلا إدبارا. قاله الفاسي في شرح الرائية. وهو من كفران النعم الذي يوجب السلب والعياذ بالله. وقد قال شيخنا رضي الله عنه: من شرب من قادوس فليلزمه هـ. وهذا كله إذا كان من أهل الباطن. وإلا فلينظر من يأخذ بيده. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ذكر من شهد لنا بالخصوصية على وجه الإخبار من المشايخ وغيرهم

حققنا الله بما شهدوا به بمنه وكرمه. وفي الحديث: << أنتم شهداء الله في أرضه>>. وفي الحكم: الزهاد إذا مدحوا انقبضوا. والعارفون إذا مدحوا انبسطوا. وإنما انبسط العارفون لعلمهم أن ألسنة الخلق أقلام الحق.

فممن شهد لنا شيخنا رضي الله عنه. وذلك أني لما لقيته المرة الأولى وسلمت عليه طلبت منه الدعاء. فقال لي: والله ليكونن لك أمر عظيم، والله ليكونن لك شأن عظيم. ثلاثا. ثم قال: والله لتكونن جامعا بين حقيقة وشريعة. ثم قال لأصحابه: ما زال يكون لسيدي أحمد وقت كبير. وقال لي حين لقنني الورد: يكون أصحاب سيدي أحمد أصغرهم مثل الجنيد. أي على قدمه.

ودخلت عليه مرة وهو بزاوية بني سلمان فلما رآني قال: مرحبا بسيدي أحمد سيدي أحد حبرا كاملا وشيخا مربيا جامعا بين حقيقة وشريعة.

وممن شهد لنا أيضا على وجه الإخبار شيخ شيخنا العارف الكبير مولاي العربي رضي الله عنه . وذلك أنه لما دخل تطاون في خلافة اليزيد قادما للجهاد ذهبت للقائه. فلما سلمت عليه قال لي: أسيدي أحمد قوم تشرعوا ولم يتصوفوا. وقوم تصوفوا ولم يتشرعوا. وقوم جعلوا الشريعة أبوابا والحقيقة بابا ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]. ثم التفت إلي فقال لي: وأنت منهم. فقلت له كذلك قال لي: ولدك سيدي محمد بوزيد. فقال: أنا وهو ذات واحدة. وهو خليفتي حيا وميتا رضي الله عنهم أجمعين.

ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه الأعدل، الزكي الأفضل، سيدي الهاشمي

---

(1) سورة المجادلة، الآية 22.

أفيلال الحسني. قال: كنت ذات يوم في الدار فأزعجتني نفسي لزيارة أبي عبد الله الفخار ولم تكن عادتي زيارته. فقلت في نفسي اللهم اجعلني نلقى هناك القطب. فلما زرته دخلت عليه القبة من غير ميعاد. فقال لي: جيء لي كذا وكذا ؟ فقلت حقق الله ذلك ببركة جدكم صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما أخبرني به بعض الإخوان ممن أثق به. قال: حدثه به بعض الصالحين من أولاد البقال. قال: تمنيت أن أعرف القطب. وأضمرت ذلك في قلبي. فنمت فرأيت في المنام أني في صحن جامع سيدي علي الجعيدي وإذا هو مملوء طباسيل من عسل. فنزل سيدي أحمد بن عجيبة فجعل يقسم على الناس وأعطاني طبسيلا من ذلك.

ومن ذلك ما أخبرتني به الأم. قالت: زرت السيدة البهالية المجذوبة سيدتي فاطمة بنت الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن عجيبة وكانت من أهل الكشف العظيم. قالت: فقلت لها ولدي أحمد ادع له إني أريد أن أزوجه. فقالت لها: داب ينهدوا له القبائل. هكذا بالنون بعد الياء.

قلت لعله ما يقع من هداية الناس على أيدينا. وما سيقع إن شاء الله. والله تعالى أعلم.

ومن ذلك ما أخبرني به ابن عمنا الحاج محمد بن عجيبة. قال: رأيت في المنام قبة عظيمة خضراء مرتفعة في جو السماء. فقلت لمن كان حولها: لمن هذه القبة ؟ فقال: هذه لعالم يخرج من أولاد ابن عجيبة.

رأى ذلك وأنا طفل صغير. فجعل يبحث عمن يقرأ منهم العلم فلم ير من هو أهل للعلم.

فلما دخلت تطاون لطلب العلم دخل علي وقص علي هذه الرؤيا، فبكيت بدموع باردة. فمن ذلك الوقت علمت أن دموع الفرح باردة. ولذلك يقول الناس في الدعاء: أقر الله عينك. والقر هو البرد. ومنه قرة العين. والله أعلم بغيبه.

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا الحاج محمد الزكامي. قال: كنا بائتين معك

في قبة سيدي السعيدي نذكر الله في الحلقة. فرأيت رجلين كبيرين أشيبين لم نعرفهما. فقربت منهما بعد كمال الحلقة. فقلت: من أنتما ؟ فقالا: نحن من رجال أغمات. جئنا نزور سيدى أحمد بن عجيبة.

وأغمات مدينة كبيرة من وراء مراكش كانت معمورة بأكابر أولياء الله.

ومنها كان سيدي عبد الرحمن الهزميري وأخوه سيدي عبد الله الهزميري. ألف التادلي في مناقبهما كتابا كبيرا سماه: "إثمد العينين في مناقب الأخوين".

ومنها خرج ابن النحوي صاحب «المنفرجة» نفعنا الله ببركة الجميع. وأخبرني أيضا أنه رأى في المنام سيدي أبا عبد الله الفخار يقول: الفقيه ابن عجيبة وكّله الأولياء بحفظ تطاون. وأخبرني أيضا أنه رأى في المنام أني كالمكب على تطاون. وذلك حين كنت نسكن بها.

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا الولي الصالح الشريف الحسني سيدي عيسى الودراسي. قال: رأيت في المنام قائلا يقول لي: الليلة أعطي سيدي احمد بن عجيبة يتصرف في الكون. أو في الوجود. لا أدري أي ذلك. قال في رؤيا طويلة لم أعقل منها إلا على هذا.

ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه الصالح محبنا في الله سيدي العربي الصباغ. قال صليت الصبح فنمت فرأيت في المنام أن أناسا كثيرين اجتمعوا في موضع. وقالوا ائتوا بالفقيه ابن عجيبة نركبه. قال: فأتوا بك. وامتنعت وقلت: لا أقدر. فقالوا لا بد من ذلك. فإن لم يكن اختيارا فقهرا. فركبوك وأنا أنظر.

ومثل هذا أيضا رأى الحاج الزكامي. قال: رأيت الشيخ مولاي العربي وهو يقول: ها نحن ألبسنا صاحبك سيدي أحمد التاج.

وقال أيضا: رأيت الأولياء اجتمعوا وقالوا نتفق على السلطان فقال قائل: السلطان ببني زروال مولاي العربي. وخليفته بتطاون سيدي أحمد بن عجيبة.

فالله يتجاوز عنا ويستر مساوئنا بستره الجميل بمنه وكرمه آمين.

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا سيدي الحسن الزيدي حين كان معنا في

الطريق. قال: رأيت في النوم كأن رواحل خرجت من تطاون وعليها متاع الدار وقش البيت لسيدي أحمد فنزلت في مدشرنا. ثم رجعت مع سيدي أحمد. فلقينا في الطريق النبي صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه والأنوار ساطعة منه. وهو مُنكب، أي ملثم فلما قربنا منه أزال عن وجهه النكاب. فسلمنا عليه. ثم التفت إلى سيدي أحمد وقال: أسيدي أحمد أينما تنزل ننزل أنا معك. ثم قدم معنا إلى المنزل الذي نزل أول مرة.

فهذه بشارة تدل على أن الهداية المحمدية والنور النبوي لا يفارقنا ويحل معنا أينما حللنا والحمد لله رب العالمين. والأمر كله لله ولا يعلم الغيب إلا الله. ومدشره قريب من دارنا. بيننا وبينه مدشر واحد. والمقصود هو نزولنا بقبيلة انجرا. والله تعالى اعلم.

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا الفقير الصالح سيدي علي الطفري قال: رأيت الشيخ سيدي أحمد زروق رضي الله عنه في النوم. فقلت له: يا سيدي الفقيه سيدي أحمد بن عجيبة يظهر علومك ويشهر طريقتك. فقال: جزاكم الله عنا خيرا. ثم قدم الفقيه سيدي أحمد أمامه وجعل يمشي خلفه. ثم قلت له: يا سيدي ما تقول في ؟ فقال: ما نقول في رجل من أهل الجنة. هـ . وهذه الرؤيا كانت قبل أن ألتقي بالشيخ.

وحدثني أنه كان يطلب شيخ التربية والترقية والهمة ويتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه إلى موضعه ولا يحتاج أن يمشي هو إليه. وأرسل بذلك بطاقة إلى الروضة المشرفة. فلما نزلت عندهم ببني بغداد ولقنته الورد علم إجابة دعائه. فحقق الله رجاءه.

ومن ذلك شهادة الشيخ لي بالخلافة عنه في حياته وبعد مماته. وذلك أني لما شرحت قصيدته الرائية وأرسلت له الشرح فرح به فرحا شديدا. فأخبرني من حضر في ذلك الوقت أنه قال: لو سألنا الله تعالى يوم القيامة عن سيدي أحمد لقلنا له إنه يحبنا. أو كلاما نحوه. ثم قال لمن حضر: سيدي أحمد هو خليفتي حيا وميتا.

وسمعت منه مرة أخرى ببني زروال مع حضور جمع كبير من فقراء المشارقة وأخي معهم. فقال لمن حضر في كلام يعظمني فيه: والله لو كان الغزالي حيا لحط رأسه لسيدي أحمد أشهدكم أنه خليفتي حيا وميتا. هـ. جزاهم الله عنا أحسن جزائه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

1 ما كنت أهلا فهم رأوني * لذاك أهلا فصرت أهلا

ومن ذلك أيضا شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لنا بالتربية النبوية. وذلك ما حدثني به صاحبنا الفقير الصادق سيدي عبد القادر التطاوني.

قال رأيت في عالم النوم جمعا عظيما وفيه النبي صلى الله عليه وسلم ومولاي العربي الدرقاوي قريبا منه فتكلم بعض الفقراء. وقال: سيدي أحمد لا يربي. فقال مولاي العربي رضي الله عنه: بل يربي. والتفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم معه سرا كأنه يسأله ثم التفت إلى الناس وقال: لا إله إلا الله عليها سيدي أحمد بن عجيبة يربي. هـ.

والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم. وقال أيضا: << من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثل بي>>. والله تعالى يغطي وصفنا بوصفه ونعتنا بنعته فيوصلنا بما منه إلينا لا بما منا إليه آمين.

ذكر ما شهدنا من الكرامات الحسية والمعنوية

قال في «لطائف المنن»: ثم إن هذه الكرامات قد تكون طيا للأرض ومشيا على الماء. وطيرانا في الهواء. واطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن.

ثم قال: وهذه كرامات كلها حسية. وكرامات هي عند أهل الله أفضل منها وأجل. وهي الكرامات المعنوية. كالمعرفة بالله. والخشية له ودوام المراقبة. والمسارعة لامتثال أمره ونهيه. والرسوخ في اليقين. والقوة والتمكين. ودوام المتابعة والاستماع من الله. والفهم عنه. ودوام الثقة به. وصدق التوكل عليه إلى غير ذلك.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان. كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان. وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة، ومجانبة الدعاوي والمخادعة. فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب.أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب. كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى. ثم جعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضى. وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور. أو ناقص أو هالك مثبور. هـ.

ومعنى الرضى عن الله هو السكون تحت مجاري الأقدار. والرضى من الله هو اتباع أوامره واجتناب نواهيه.

وسمعت شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول: إنما تظهر الكرامة الحسية ما دام الخصيم الظلماني مقابلا للنوراني. فإذا انقطع الخصيم الظلماني فلا تظهر الكرامة في الغالب.

قلت: يعني بالخصيم الظلماني خصيم الفرق. وبالخصيم النوراني خصيم الجمع. فإذا انقطع عنه خصيم الفرق. فلا يحتاج إلى كرامة لاستغنائه عنها بالكرامة العظمى. وهي الرسوخ والتمكين في معرفة الله. فالكرامة الحقيقية هي زوال الحجاب.

ولذلك قال في « الحكم»: ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه. وقال أيضا: ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة.

قلت: وقد كانت تظهر لنا كرامات حسية وقت المجاهدة والرياضة غاب جلها عن علمنا في هذا الوقت.

فمن ذلك أني كنت أذكر الله في بيتي والكتب فوقي على المرفع وإذا بطير صغير بلا ريش كأنه يوم خلق يحرك فمه تحركا قويا يفتحه ويشده. ففهمت أنه يذكر الله. فقمت إليه وقربت منه وهو على حاله فلما مددت يدي إليه انخنس. فلم نره، ففتشت البيت فلم نجده، وقد كان معي طالب جالس بالباب، فسألته: فقال لم ير شيئا. فعلمت أنه ملك من الملائكة.

ومن ذلك أني كنت أتهجد في غرفة عند ضريح سيدي أبي عبد الله الفخار والبيت مظلم. فقبض شيء على رجلي بارد كيد رجل بارد أو حية فثبتني الله فرميته برجلي ومضيت على صلاتي.

ومن ذلك أني كنت أصلي في ذلك الموضع ليلة القدر وحدي والبيت مظلم. وإذا بطيور تقع أمامي وخلفي وترفرف فوق رأسي. ولم ألتفت إلى ذلك. فعلمت أنهم الملائكة التي تسلم على الناس تلك الليلة.

ومن ذلك أني كنت راقدا عند ضريح هذا الولي فكلمني من جوف القبر بصوت فيه بحة (أي مبحبح) فقال: قم إلى زوجتك. أو كلاما نحوه وكان أهل الدار قد توقفوا علي في شيء والله تعالى أعلم.

ومن ذلك أني كنت قدمت لزيارة أمي على طريق الجبل. فدخل وقت الظهر ولم أجد ماء فقلت في نفسي كانت الأولياء ترى الكرامات كنبع الماء

وغيره: اللهم ارزقي ماء نتوضأ به. فسمعت صوت الماء فوق الطريق فعدلت فإذا ماء ينزل من الجبل فتوضأت به. فلما رجعت من الزيارة قدم معي أخي. فلما بلغت ذلك الموضع. قلت له قد وجدت هنا ماء. فلما نظرنا وجدناه يابسا. فالله أعلم.

ومن ذلك أني ختمت كتابا حين كنت إماما في جامع القصبة وأنا أعزب. فدفعت للمؤذن سيدي محمد الصغير مُدّين من الطحين صغيرة أو ثلاثة. فصنع منها طعاما فما زال يطعم الناس من المغرب إلى العشاء تقوم فرقة وتجلس أخرى. ثم فضل الطعام. فحمله إلى داره قال: فأكل منه أهل الدار والجيران. قال: فتحققت أنها كرامة. وقال كنت استصغرت الطحين حين دفعته إليه. هـ.

ومن ذلك أني كنت بفاس بجامع القرويين صبيحة ليلة القدر فرأيت الناس كلهم قياما. فأسندت ظهري للمنبر. وقلت في نفسي: اللهم سهل لي في ملاقاة ولي من أوليائك وأعرف أنه ولي. فما أتممت الخاطر حتى أخذتني سنة. ففتحت عيني فإذا برجل جالس بين يدي متربعا فقال معروفا لله ورفع يديه ورفعت معه يدي. فقال ادع لي أنت ؟ فقلت الله يعرفك به. وقلت له ادع لي أنت ؟ فقال حفظ الله عليك إيمانك. ثم قام وغاب عني.

وصليت مرة أخرى الصبح ـ أعني صبح ليلة القدر ـ في ذلك الجامع ـ أعني القرويين ـ وجلست أذكر الله وإذا برجل يمشي بين السواري ويقول: لا إله إلا الله انصرف السوق. فقلت له بقي الحي الذي لا يموت. فقرب مني وقال: صدقت. ثم قال لي: ألفت كتابا فقلت فيه: قال فلان قال وهل حصلت شيئا. ثم قال: إذا تم شيء قل أنت من عندك. ففهمت أنه يعرض بي لأن كنت مشغولا بالتأليف في ذلك الوقت، وكنت أنقل كلام الناس كثيرا. فنبهني إلى استعمال فكرتي حتى نستخرج ما عندي.

ومن ذلك ما أخبر به صاحبنا الفقير الناصح الحاج محمد اللغميش. قال: كنا في مدينة تطاون فكلفنا القائد بسُخرة في البحر إلى ناحية طنجة فتعذر علينا السفر في البحر من هول البحر وطال الأمر علينا حتى مللنا وضاق البلد علينا. قال:

فأخذت صدقة وذهبت إلى سيدي أحمد بن عجيبة فوجدته يصلي في مسجده الذي كان يصلي فيه. فأطال الصلاة، ثم التفت إلي فقال: ما حاجتك ؟ فقلت يا سيدي كلفنا المخزن بالسفر في البحر وقد تعذر علينا السفر وطال بنا المقام هنا فادع الله لنا يطلق سراحنا ؟ فقلت له غدا تسافران إن شاء الله. قال : فلما أصبحت غدوت إلى المرسى فما وصلت إليها حتى وجدت المركب قد عام وسافر كما أخبرني.

ومن ذلك ما أخبرني به الفقير الناصح والولي الصالح سيدي عبد الهادي تب. قال: أخبرني بعض الناس أنه قال: قصدت زيارة سيدي أحمد فلما وصلت إلى الوادي وجدته حاملا فلما دخلت بالبهيمة أدهشني الوادي وأردت أن أسقط. فناديت يا سيدي أحمد فإذا هو معي وشملته تحت يده وهو يقول لا بأس عليك ثم قاد بهيمتي حتى قطعت. ومثل هذا كثير.

ومن ذلك ما أخبرني به الفقير الصالح المحب الناصح الحاج عبد الله تانسا. قال لما وقفت بعرفة رأيتك واقفا مع الناس بعرفة لا أشك في ذلك.

وهذا الأمر لا يكون إلا مع شعور صاحبه أو لأن الروح تتطور وتظهر معهم. وهذا أمر شهير عن الأولياء يظهرون في مواطن متعددة في وقت واحد. يتجلى الحق تعالى بصورتهم عند الاستغاثة بهم أو عند إرادة جمعهم.

ومن ذلك تأنس الوحوش والطيور بنا حتى لا تفر منا. فمن ذلك أن كنت ذات يوم قادما إلى تطاون فلما بلغت فدان عمر مقابلا لسمسى لقيني ذئب في ناحية الطريق. فقلت له: قف. فوقف ينظر إلي . فقلت له: هل تحتاج إلى ما تأكل ؟ فجعل ينظر إلي كالكلب. فرددت يدي إلى خبز كان عندي. فدخل في دروة وانخنس.

ومن ذلك أني كنت في مدشر الخندق جالسا في موضع وحدي فخرجت قنية كبيرة فجعلت ترعى حولي فإذا سمعت بحس أحد أقبل إلي هربت. وإذا خلى الموضع أقبلت ترعى بين يدي حتى قمت من ذلك الموضع.

ومن ذلك أن طيرا عشش معي داخل الخلوة يدخل ويخرج علي وأنا جالس في باب الخلوة وهولا يستوحش مني. فإذا كان معي أحد طلل وهرب.

وقد مررنا في سياحتنا إلى مدينة سلا براع يرعى البقر والغنم ونحن نذكر الله فتبعتنا البقر والغنم. فلما رأى ذلك الراعي تبعنا فقلت له قد انجذبت بقرك. فقال: ومن ذا الذي لا ينجذب لكم. أو كلاما هذا معناه.

وقد التقيت مع الخضر عليه السلام في مقصورة جامع الجعيدي أخذتي الهيبة، فرأيته رجلا ضخما كبير اللحية فقرب مني حتى مس شعر لحيته وجهي وتكلمت معه بكلام غاب عني اليوم لطول العهد به.

هذا ما علق بذهني في هذا الوقت من الكرامات الحسية. وأما التأييدات والخطابات من الأكوان فلا يحصون.

وقد كنا في بعض الأسفار ننزل بالإذن من الله ونسافر بالإذن صريحا. وكل من فهم عن الله وحصل له التوحيد الخاص نال هذا المقام إذا كان معه التأني والاستماع من الله تعالى والله ذو الفضل العظيم.

ذكر من أخذ عنا التربية النبوية من الفقراء المتجردين والمنتسبين

ومما منّ الله تعالى به علينا أن جمع لنا علم الظاهر والباطن.

قال ابن العريف رضي الله عنه: إذا أراد الله أن يهيئ عبدا للإمامة والاقتداء شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة والعربية والفقه والحديث. ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات فعند ذلك يستحق الإمامة والتقدم. هـ.

فإنا والحمد لله ممن يأخذ سهمين أو ثلاثة كالفارس مع الراجل سهم العلم الظاهر. وسهم العلم الباطن. وسهم التعليم فيهما. فقد تحملت الذل مرتين. وحزت مرتبة الكمال والتكميل وسرت بينهما في العلمين معا. فكنت في العلم الظاهر نتعلم ونُعلم. فما تركت أخذ العلم قط بعد التصدر للتعليم. نُعلم من تحتنا. ونأخذ عمن فوقنا. وكذلك في علم الباطن نسيِّر ونسيَّر. فانتفع على أيدينا في المذهبين جم غفير وخلق كثير. والحمد لله أن جدّد الله بنا الدين في هذه المائة.

قال عليه السلام: << يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لأمتي أمر دينها>>. وقد شهد لنا بذلك أشياخنا. فقد سمعت من شيخنا البوزيدي الحسني رضي الله عنه حين قدمنا عليه لزيارته في العام الأول. قال: والله حتى يجدد الله بكم الدين المحمدي. هـ.

وكتب إلي شيخه مولاي العربي رضي الله عنه زمان الوباء ما نصه؛ بعد كلام: نطلب الله تعالى ألا تموت حتى تكون داعيا إلى الله ينتفع بك أهل المشرق والمغرب.هـ.

ولقد كنت حين دخلت في طريق القوم وحصل لي الإذن من الشيخ في تذكير الناس نطوف عليهم في المداشر والقبائل نعلمهم الدين وندلهم على الله.

فعلت ذلك ثلاث سنين أو أكثر كما تقدم. وها نحن ما زلنا على ذلك ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

فإن كان الشيخ السنوسي يعلم الناس التوحيد العام في الزقاق فنحن والحمد لله نعلم الناس التوحيد الخاص في المداشر والقبائل والمساجد والجوامع لمن قدر عليه ومن لم يقدر علمناه ما يقدر عليه من توحيد الدليل. حتى يفتح الله سبحانه في توحيد العيان.

وما كنا نمزج لتذكير الناس غالبا إلا في وقت الشتاء حين تدخل الليالي، لأن ذلك وقت الفراسة والزراعة. فكنا نغرس أشجار المعرفة والمحبة في قلوب من سبقت لهم العناية.

فأما من كنا زرعنا فيه العلم الظاهر حين التدريس فكانت ثمرته ضعيفة. فمنهم من صار قاضيا أو عدلا أو إماما مدرسا أو مديراً، ومنهم من اشتغل بأسباب المعاش.

وأما من زرعنا فيه العلم الباطن فجلهم حصل لهم الفنى الأكبر ودخلوا مقام الإحسان بالذوق أو بالعلم إذا كان متجردا. وإذا كان متسببا حصل له القناعة والاستقامة والتقوى وتنوير الباطن فكلهم على بينة من ربهم والحمد له. وقد أردت ذكرهم وتحلية كل واحد منهم ببعض ما منحه مولاه من الفضل فضاق الأمر عن ذلك لكثرتهم وعدم استقصاء عددهم بارك الله في جميعهم آمين.

(1) سورة يوسف: الآية 108.

ذكر ما تزوجناه من النساء
وما ولدنا من الأولاد

اعلم أن النكاح مرغب فيه في الجملة. وهو سنة من سنن المرسلين وقد يجب على من خاف على نفسه الزنى. وقد وردت أخبار وأحاديث عن السلف في الترغيب فيه.

قال صلى الله عليه وسلم: << تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط>>.

وقال عليه السلام: << من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح فإن الرجل يرفع بدعاء ولده من بعده >>.

وقال عليه السلام: << من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا >>.

وقال عليه السلام: << من أدرك ولده فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما >>.

وقال أبو هريرة: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجة. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: << شراركم عزابكم. إذا تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم ثلث دينه>>.

وقال أبو أمامة أربعة لعنهم الله من فوق عرشه وآمنت عليهم ملائكته: الذي يحصر نفسه عن النساء فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له. والرجل يتشبه بالنساء. والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله تعال أنثى. ومضلل المساكين. هـ.

ومضلل المساكين هو الذي يمنعهم من فعل الخير ومن الدخول في طريق القوم. وقال سهل بن عبد الله: لا يصح الزهد في النساء لأنهن قد حببن إلى سيد الزاهدين.

ووافقه ابن عيينة فقال: ليس في كثرة النساء دنيا لأن أزهد الصحابة كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية.

وقال عطية بن بشر المازني: أتى عكاف بن وداعة الهلالي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: << يا عكاف ألك زوجة ؟ >> قال: لا يا رسول الله. قال: << ولا أمة >>. قال: لا. قال: << وأنت صحيح موسر>>. قال: نعم والحمد لله. قال: << فإنك إذا من إخوان الشياطين. إما أن تكون من رهبان النصارى. وإما أن تكون مؤمنا. فاصنع ما بدا لك فإن من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ما للشيطان في نفسه سلاح أبلغ من محتمل العزوبة. ألا إن المتزوجين هم المطهرون المبرؤون من الخنا >>.

ورجح بعض الصوفية ترك التزوج للمريد محتجا بقوله عليه السلام: << خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ. قيل وما خفيف الحاذ؟ قال: الذي لا أهل له ولا ولد. هـ.

والتحرير في المسألة أن المريد إذا دخل طريق القوم متزوجا فليبق على حاله وحملته همة الشيخ بأهله. وإن دخل عزبا بقي حتى يأذن له الشيخ. فإن وقع الإذن وكان تمكن في المعرفة فليكن حيث شاء. وإن كان لم يتمكن فليسكن قريبا من الشيخ أو يكثر التردد إليه أو بين الفقراء الأقوياء. فإن فعل هذا فلا يضره التزوج أبدا.

وينبغي للفقير أن يقصد بتزوجه امتثال السنة وإعفاف نفسه وإكمال دينه وحفظ بصره والقيام بأمر الزوجة لأنها خلق ضعيف لا تقوم بنفسها. ورجاء الولد الصالح. فإنه المقصود الأهم بتشريع النكاح لقوله عليه السلام: << إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية. وعلم يبثه في صدور الرجال. وولد صالح يدعو له بعد موته >>.

ولا يقصد بتزوجه مجرد حظ نفسه وشهوة نفسه. فيبطل سعيه وما ينفق في صداقها وعرسها. وأما إذا نوى ما تقدم فكل ما ينفق عليها في صداقها وعرسها

ونفقتها فهو في الميزان. وينبغي أن يختار الأصل الطيب والمنبت الطاهر. فإن الفرع يتبع الأصل في الغالب.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا يَشْكُرُ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

فنجابة الولد في الغالب تكون من نجابة الوالدين. والمراد بالأصل الطيب أهل الدين والصلاح والتقوى. ولا يغره جمال الصورة مع دناءة الأصل.

قال صلى الله عليه وسلم: << إياكم وخضراء الدمن>>. قيل وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال: << المنظر الحسن في المنبت السوء >>.

وينبغي أن يسأل عن دينها قبل العقد عليها. فإن أخبر أنها لا تصلي فلا يعقد لقوله عليه السلام: << تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك >>.

وليحذر جهده من التزوج من أهل الرئاسة: رئاسة المال أو رئاسة الدين. فإن الغالب عليها الافتخار ورفع الرأس. فالتزوج من أهل المسكنة والخمول مع الدين أشرف وأقرب لحسن العشرة. فإن تزوج ولم يجد ما كان يرجوه إما من الخُلق أو من الخَلق فليصبر فتلك قسمته الأزلية وعسى أن يكون فيه خير.

قال تعالى: ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[2].

والخير الكثير هو الولد الصالح أو الأجر الكبير. فالغالب أن من ظفر بالجمال الحسي لا يكون له عقب كامل. بحيث يكون عالما أو وليا وإنما يخرج الجمال من الجلال.

حكي أن والد مالك تزوج بأم مالك وهي عاتكة بنت شريك الأزدية

(1) سورة الاعراف: الآية 58.

(2) سورة النساء: الآية 19.

فوجدها سوداء فامتنع من الدخول بها فوقف متفكرا. فقالت له المرأة: لعلك لم تر ما يعجبك. قال: نعم: قالت: هل استخرت ربك. قال: نعم. فقالت: أتتهم ربك ؟ فاستحي ودخل بها. فحملت بالإمام مالك رضي الله عنه إمام المذهب.

وينبغي أن يستعمل آداب الدخول وهو أن يصلي ركعتين بعد السلام ويأخذ بناصيتها. ثم يقول: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه. وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه. ثم يقرأ سورة الضحى وألم نشرح مرة مرة. وإنا أنزلناه ثلاث مرات. وإن زاد الإخلاص والمعوذتين فحسن.

زاد بعضهم يغسل طرف يديها ورجليها يسمي الله ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشر بذلك الماء أركان البيت. فإن ذلك ينفي عنه الشر والشياطين بفضل الله وكرمه. فإذا فرغ من هذا كله فينبغي أن يباسطها بالكلام الحسن مما يقتضي الفرح بها والمحبة لها فيقول لها مرحبا بك وأهلا. والله ما ترى معنا إلا الخير، نحن لك عوض من أبيك وأمك ونحو هذا من الكلام الطيب. وإن كان طعام لقمها ثلاث لقم. وإن وجدت الحلاوة فهو أكمل. لأن هذا كله مما يزيل دهشتها ويؤنس وحشتها لأن كل داخل له دهشة وكل غريب له وحشة.

إذا كان الرجل على قوته وشجاعته ووفور عقله تصيبه في تلك الليلة دهشة ووهن وهو في منزله وبين أهله. فما بالك ببنت خرجت من بين أهلها إلى منزل لم تعرفه، وقرين لم تألفه ولم تعرف ما يصدر لها منه. فلا تسأل عن حالها ورعب قلبها. فإذا بدأتها بالسلام وقابلتها بطيب الكلام وعاملتها بالبر والإكرام تأنست وانشرحت وزال عنها بعض الرعب.

ثم يستعمل السنة في تجريدها من الثياب وتجريده. ثم يلاعبها ويقبلها ثم يمضي إلى ما أباحه الله إن أحس بقوة في نفسه و إلا أمهل حتى يجدها. وليقل قبل الجماع: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا.

فإذا دخل بها وقضى حاجته مكث في بيته ولا يفعل ما يفعله العوام من فضيحة نفسه بخروجه بدم البكارة. فإن ذلك حرام. بل لا يدخل بيته حتى يخرج كل

من في الدار ولا يترك أحدا ينتظره. فإذا أصبح أمرها بالاغتسال وعلمها كيفية الغسل والوضوء وإتقان الصلاة هذا ما يتعلق بآداب الدخول.

وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في "النصيحة الكافية": عدم الملاعبة مع الزوجة يوجب كون الولد غبيا جاهلا والرفق بالمرأة حتى يلتقي ماؤه وماؤها يوجب المحبة لها منه.

ومن أراد ذلك فلا يدنو منها حتى يعلو نفسها وتغار عيناها وتطلب التزامه ومقدمات ذلك أن يكثر ملاعبتها وغمز ثدييها وحك ذكره بين شفريها. إلى أن قال: ومتى اختلط ريقه بريق الزوجة أكد ذلك المحبة بينهما كالتنفس في وجهها وتقبيل العينين موجب للفرقة. إلى أن قال: ولا يجامعها وهي في ثوبها. فإذا فرغ من الجماع فليقل في نفسه من غير تحريك لسانه ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

ثم ينبغي بعد ذلك أن يحسن عشرتها ويصبر على جفاها. قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2]. فإن النساء يحتجن إلى سياسة كبيرة وصبر كبير لا يقدر على ذلك إلا الرجال الأقوياء. وهنا يظهر صبر الفقير ويعرف ضيقه من تاسيعه. ولذلك كان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يحب التزوج للفقير.

سمعته يقول: الصوفية حذروا الفقير من التزوج. وأنا أحبه له لتتسع أخلاقه وتزداد معرفته ويكبر يقينه.

وذكر الغزالي في «الإحياء»: إن الزوجة تحتاج إلى حسن المعاشرة والرعاية والسياسة. أما المعاشرة فبحسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن. ترحم عليهن لقصور عقلهن. وآخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه. جعل يقول: << الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم ـ يعني أسارى ـ

(1) سورة الفرقان، الآية: 54.

(2) سورة النساء، الآية: 19.

أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله >>.

وقال صلى الله عليه وسلم: << من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله تعالى ثواب أيوب عليه السلام. ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله تعالى ثواب آسية امرأة فرعون >>.

واعلم أنه ليس حسن الخلق هو كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعه الكلام وتهجره الواحدة منهنّ يوما إلى الليل.

وكان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فوقع بينه وبينها شيء فدفعته في صدره حتى وقع إلى قفاه. فعاتبتها أمها. فقال: دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك. وذكر الحكاية أيضا في القوت.

ووقع بينه وبين عائشة كلام فدخل أبو بكر فقال صلى الله عليه وسلم: أبوك يحكم بيننا تكلمي أو أتكلم. فقالت بل أنت تكلم ولا تقل إلا الحق. فلطمها أبو بكر حتى أدمى فاها وقال: يا عدوة نفسها أيقول غير الحق. فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقعدت خلف ظهره. فقال له عليه السلام: لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك.

وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. واحتمل ذلك منها حلما وكرما.

وقال أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان. هـ. كلام الغزالي مختصرا.

وذكر ابن حبيب عن سفيان أن جرير بن عبد الله شكا إلى عمر ما يلقى من غيرة النساء. فقال له: إني لألقى مثل ذلك، إني لأخرج إلى الحاجة فتقول ما خرجت إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن.

فقال له عبد الله بن مسعود: يا أمير المؤمنين أما بلغك أن إبراهيم خليل

الرحمن شكا إلى الله تعالى اضرار سارة. فأوحى الله تعالى إليه أن ألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها خربة في دينها. والخربة الفساد في الدين.

ثم قال ابن حبيب وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يصبر على سوء خلق امرأته فله بكل يوم وليلة أجر شهيد.

قلت فمن وقعت في سهمه امرأة صعبة سيئة الخلق فليتذكر هذه الأخبار، وليتسل بالنبي المختار، وسلفنا الصالح، وليعلم أن ذلك زيادة به وترقية في معرفته.

وقد قال الشعراني في "العهود": قَلّ أن تجد وليا إلا وتحته امرأة تؤذيه.

وذكر عن شيخه الخواص أنه كان تحته امرأة سيئة الخلق. ذكر أنه بقي في عشرتها خمسين سنة. وما مر عليه معها يومان وهما مصطلحان.

وذكر أنه شرب يوما من آنيتها فكسرت عنقها لئلا تضع فمها موضع فمه.

قلت: ولا يسمى صبر الرجل على أذى امرأته وجفاها ذلا ولا غلبة له إنما هو حلم وتكرم وستر للعرض. وإلا فأي قوة للمرأة حتى تغلب الرجل.

ولذلك قيل لا يغلبن إلا الكرام ولا يغلبهن إلا اللئام. وتسمية صبرٌ لها غلبة مجاز. وقال صلى الله عليه وسلم: << لا يضربهن إلا شراركم >>.

قلت وقد مر علينا شيء من جفاهن وإذايتهن فصبرنا والحمد لله، فمن ذلك أني كنت ذات يوم في خلوتي في موضع عال فغضبت بعض نسائي وحركتها الغيرة فصعدت إلي ولبتني وأنزلتني دردبة. ثم أخرجتني عن باب الدار وشدت الباب وزرقتها خلفي فبت خارج الدار.

ومن ذلك أني رقدت يوما على لحافها فجذبته من تحتي ورمت بي إلى الأرض.

ومن ذلك أني أتيت لها ذات يوم بعجنتين طريتين في وعاء فوجدتها غضبى فعجنتهما برجلها ثم رمت بهما وجهي وكنت جالسا فضربت رأسي في الحائط ضربا شديدا.

وأما السب والدعاء فلا يعد ولا يحصى. وصاحب الغيرة معذور في كل ما

يصدر منه. أرأيت لو رأيت امرأتك تذهب إلى غيرك يلعب بها هل كنت تصبر. فالأمر واحد. فكما لا يصبر الرجل على رؤية امرأته مع غيره لا تصبر المرأة على زوجها تراه مع غيرها. فكل ما يصدر من الغيرة حين تهيج غيرتها محمول لمن له عقل وحلم.

وذكر في الجامع الصغير حديثا: أن الغيرى ملحقة بالشهداء فلا تسئل في قبرها. والله تعالى أعلم.

وذكر ابن عرضون عن شريك الهندي قال: إذا أردت أن تذهب الغيرة من المرأة فلا تغار من ضرتها ولا من وطء جارية زوجها. فاسقها دماغ أرنب بشراب وهي لا تعلم.

ومما يذهب بالغيرة على ما زعم بعض الناس أن تسقى المرأة غبار دقيق الشعير من الرحا بماء المطر. فإنه جيد في ذهاب الغيرة.هـ. منه.

ثم قال الغزالي: وأما الرعاية فهي أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة. فهي التي تطيب قلوب النساء.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق. حتى روي أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما ثم سبقها في بعض الأيام. فقال هذه بتلك. وفي الخبر أنه كان أفكه الناس مع نسائه. هـ. والفكاهة: المزاح.

وقال لعاشة: <<أتشتهين أن تنظرين إلى لعب الحبشة>>. فوقف في باب المسجد يسترها. وجعلت تنظر. وكان يقول اعرفوا للجارية الحديثة السن حقها.

وقال صلى الله عليه وسلم: << أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله >>. وقال عليه السلام: << خيركم خيركم لنسائه. وأنا خيركم لنسائي>>.

وكان عليه السلام كثير المزاح مع أهله. ودخل ذات يوم على عائشة فوجدها نائمة فربط شعرها إلى قوائم السرير. ثم نادى من الناحية الأخرى. فقامت

وهي متعلقة بالسرير. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال الغزالي رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون مع أهله مثل الصبي، فإذا التمس ما عنده وجد رجلا.

وقال لقمان: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي. فإذا كان في القوم كان رجلا.

وقال عليه السلام لجابر رضي الله عنه: << هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك >>. هـ.

ومدحت امرأة زوجها بعدما مات فقالت: كان والله ضحوكا إذا ولج سكوتا إذا خرج آكلا ما وجد. غير سائل عما فقد. هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: <<إني لأبغض الذواق الطلاق الذي لا يأكل ما وجد ويسأل عما فقد. وهو عند أهله كالأسد وخارجا كالثعلب لكن علي لفاطمة يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد وهو عندها كالثعلب وخارجا كالأسد>>.هـ.

وأما السياسة فهي أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته بل يراعي الاعتدال فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة. بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتنع وامتعظ.

قال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله في النار. وقال عمر: خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة.هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: <<تعس عبد الزوجة>>. وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها. وقد تعس لأن الله تعالى قد ملكه أمرها فملكها هو نفسه. فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان. كما قال تعالى: ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾[1] إذا حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا. وقد جعل الله تعالى

(1) سورة النساء، الآية: 119.

الرجال قوامين على النساء. وسمى الزوج سيدا. فقال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾[1].

فإذا انقلب السيد مسودا فقد بدل نعمة الله كفرا. وقس المرأة على مثل نفسك إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا. وان أرخيت عنانها يسيرا جذبتك ذراعا. وإن أجمحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها. هـ.

وهذا الأمر يكون عند أول صحبتها لتستمر على ذلك. وأما إن أرخيت لها أول مرة صعب عليك ردها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثم نرجع إلى ما كنا بصدده من الفهرسة فنقول: لما منّ الله علينا بحفظنا في صغرنا من شهوة الفرج المحرمة. متعنا الله به في الحلال بعد كبرنا كما هو عادته سبحانه فيمن ترك شيئا من الحرام أن يمتعه بأكثر منه من الحلال.

فتزوجت ست نسوة خمس أبكار وثيب. أولهن زوجتي رحمة بنت محمد بن أحمد الجعيدي. فازداد لي معها اثنا عشر ولدا وسقطا. ستة ذكور وست إناث مات عشرة وبقيت بنتان. فالله يحفظهما من عواقب الزمان آمين.

ثم تزوجت فاطمة بنت الحسين بن عجيبة ثيبا فولد لي معها بنتا سقطا. ثم طلقتها لأمر اقتضى ذلك مع سابق الأزل.

ثم تزوجت منانة بنت الفقير الصالح والولي الواضح سيدي عبد الهادي تبُّ فولد لي منها بنتا سقطا. ثم ماتت بعد سبعة أشهر من البناء بها. فالله يرحمها ويجعلها لنا من نساء الجنة.

ثم رحمة بنت الفقير الصادق المقدم الزراد. فازداد لي معها ستة أولاد أربعة ذكور وبنتان مات أربعة وبقي اثنان. وهما محمد المهدي ولد في ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائتين وألف. وعبد السلام ازداد ليلة الثلاثاء آخر رمضان سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف. فالله ينبتهما نباتا حسنا ويجعلهما خلفا صالحا ذاكرين عارفين آمين.

(1) سورة يوسف، الآية 25.

ثم تزوجت فاطمة بنت الفقير الصالح والولي الواضح سيدي الهاشمي خرباق سنة خمس عشرة ومائتين وألف فازداد لي معها خمسة ذكور وأنثى. مات خمسة وبقي واحد وهو عبد الباقي. ولد في رمضان سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف. فالله يبقيه لأمه حتى يكون عالما صالحا عارفا بالله آمين.

ثم تزوجت الشريفة منانة بنت السيد محمد بن أحمد الرحموني ثم العلمي. والشرفاء الرحمنا من ذرية سيدي عمر ابن مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه فولد لي معها بنت ثم ذكر سميته محمد الصديق في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين وألف فالله ينبته نباتا حسنا آمين، ويجعله خلفا صالحا ذاكرا عارفا آمين. ثم ولد لي معها ولد سميته أحمد الخاضر. ثم أبدلته خالته زوجة شيخنا بأحمد الشاهد ولد برابع جمادى الثانية سنة اثتين وعشرين ومائتين وألف فالله ينبته نباتا حسنا. ويجعله وليا صالحا آمين. ثم ولد لي معها ولد في شهر صفر سميته عبد القادر سنة أربع وعشرين ومائتين وألف فالله ينبته نباتا حسنا ويجعله بارا تقيا آمين.

فجملة النساء التي في ملكي اليوم أربعة اثنان شريفتان واثتان عاميتان. والشرف الحقيقي هو التقوى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: << آل محمد كل تقي>>.

وعندي داران كما تقدم وهما قائمتان بالله في كل ما نحتاج إليه من مطعم ومشرب وملبس. فأهلي والحمد لله أغنياء كل زوجة لها كسوة بنات الأغنياء وفراش الأغنياء كل ذلك من عند الله إذ ليس عندي خراج معلوم ولا راتب مرتب إلا ما يفتح الله به من الغيب. ومع كل دار زاوية معمورة بالفقراء ويخرج إليها الطعام في الصباح والغذاء والعشاء وفي كل زاوية فقيه ومؤذن مرتبان فلله الحمد وله الشكر.

وجملة ما ازداد عندنا من الأولاد في هذا الوقت وهو عام أربعة وعشرين

(1) سورة الحجرات، الآية 14.

ومائتين وألف: واحد وثلاثون. والأحياء تسعة وهذا التاريخ مؤخر عن تاريخ الفراغ من تبييض الفهرسة وهو إلحاق وإصلاح بعد تمامها كما ترى تركت له بياضا احتياطا حيث عندي ثلاث نسوة كلهن صغار في سن من يحمل فلا أدري ما يحدث الله منهن فيما يستقبل. كما فعلت في عد ما ألفت من الكتب منها ما تأخر عن الفهرسة فلا يدخلك فيه تناقض.

وفي موت الصبيان أحاديث كثيرة أفردت بالتأليف منها ما في الصحيح: << من مات له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث كن له حجابا من النار >>.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: << لأن أقدم سقطا خير من أن أخلف مائة فارس تجاهد في سبيل الله >>.

إلى غير ذلك من الأحاديث فالله يجمعنا معهم في الفردوس الأعلى آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ذكر ما كنا حصلناه من العلوم الظاهرة والباطنة

اعلم أن أصول العلوم أربعة علوم. ومنها تتفرع سائر العلوم: علم الأذهان. وعلم اللسان. وعلم الأبدان. وعلم الأديان. لأن العلم إما أن يرجع إلى الأذهان. كالمنطق والحساب، وهي التعاليم. أو يرجع إلى اللسان كالنحو والشعر وهي الأدبيات. أو إلى الأبدان كالطب والتشريح. أو إلى الأديان ظاهرا وباطنا كالفقه والتصوف وعلم الكلام. فهذه أجناسها.

وقد علم أن تمايز العلوم إنما هي بتمايز موضوعاتها. فموضوع العلم إن كان هو المعلومات من حيث التصور والتصديق فهو علم المنطق. فهو العلم الباحث عن الموضوعات التصورية والتصديقية من حيث يتوصل فيها بالمعلوم إلى المجهول ويشتمل على مباحث الدلالة ومباحث الألفاظ من حيث دلالتها وكليتها وجزئيتها وذاتيتها وعرضيها وغير ذلك. ومبحث اكتساب التصور بالمعرفة. ومبحث التصديق بالقضية. ومباحث أقسام القضايا وأحكامها من تناقض وعكس واستلزام. ومباحث القياس. ومباحث الحجج الخمس: البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة.

وإن كان موضوع العلم هو الموجود من حيث هو أو ذات واجب الوجود أو مجموعهما على الخلاف في موضوعه فهو العلم الإلهي.

قيل: وجعله الأقدمون خمسة أنواع: **الأول**: الأمور العامة كالوحدة والكثرة والعلة والتقدم ونحوها. **الثاني**: مبادئ الموجودات، **الثالث**: الصانع وما يجب له وما يمتنع عليه. **الرابع**: تقسيم المجردات. **الخامس**: أحوال النفس بعد المفارقة.

وزاد أهل الإسلام نوعا سادسا سموه السمعيات وهو مبحث

النبوءة والمعاد.

وزادت المعتزلة مبحث العدل المعروف عند الأشاعرة بالأفعال. وزادت الإمامية من الشيعة الإمامة فتبعتهم السنية. وهذا هو علم الكلام عندنا. وسموه إلهيا لاشتماله على مباحث الإله تعالى وهو معظمه وسمي الكلام إما لكثرة الكلام فيه أو لأنه يورث قدرة عليه أو اشتهر من مسائله الكلام لكثرة الخوض فيها.

ثم إن القسم الأول من الخمسة أثبته المتكلمون ونبهوا على الصحيح والباطل. وأما الثاني فلا حاصل له إذا العالم عند أهل الإسلام كله حادث ولا هيولى (أي مادة) ولا قدم ولا علة ولا معلول. وأما الثالث فهو المقصد والثبوت على الوجه الصحيح من كونه تعالى واجب الوجود فاعلا مختارا، إلى غير ذلك. لا على ما يعتقده الفلسفيون أبعدهم الله. وأما الرابع فلا حاصل له أيضا عند الجمهور لأن المجرد إن أريد به الحادث الزائل على الجوهر والعرض فلا يثبته الجمهور،وإن أريد به العقول العشرة فهي باطلة باتفاق ما خلا الواجب الحق تعالى فلا نسميه عقلا إذ أسماؤه تعالى توقيفية. وأما الخامس فهو داخل في مبحث السمعيات. والمعاد عندنا جسمان وروحان. لا روحان فقط كما يقولون أضلهم الله.

وإن كان موضع العلم ما يبحث فيه عن حقائق الأشياء والاطلاع على مقاديرها فهو علم الفلسفة. وهو على قسمين إما مجرد عن المادة في الذهن فقط. وإما مقيد بالمادة. فالأول يقال له العلم الرياضي. والثاني العلم الطبيعي.

فالعلم الرياضي عندهم أربعة أنواع الهندسة والحساب والهيئة وعلم الأصوات والنغمة.

أما الهندسة فهو العلم الباحث عن المقدار أعني الكم المتصل القار في الذات ومادته النقطة وهي شيء لا ينقسم كالجوهر الفرد في الطبيعيات. فإذا اجتمعت النقط وكانت بحيث تقبل القسمة الوهمية في جهة واحدة سميت خطا أو في جهتين سميت سطحا أو في ثلاث سميت جسما تعليميا وهو مجموع الطول والعرض والعمق. والطول هو الامتداد المفروض أولا، والعرض هو الامتداد

المفروض ثانيا، والعمق هو الامتداد المفروض ثالثا. ويقع بحث الهندسة في هذا المنحى باعتبار الخطوط والدوائر والأشكال وما يتعلق بذلك. وفيه أنواع مبسوطة في محلها.

وأما الحساب فهو العلم الباحث عن العدد من حيث انقسامه إلى الزوج والفرد والصحيح والكسر وغير ذلك. وما يعتريه من الأحوال كالجمع والضرب والقسمة وغير ذلك ويشتمل على أنواع مبسوطة في محلها.

وأما الهيئة فهو العلم الباحث عن الأجرام البسيطة فلكية أو عنصرية من حيث الكم والكيف والحركة والسكون وغير ذلك. ويشتمل باعتبار ما فيه من النظر في الكواكب وتسييرها والأرض ومعمورها والزمان وأحواله وغير ذلك على أنواع مبسوطة في محلها.

وأما علم النغم فهو العلم الباحث عن الصوت من حيث تركبه مناسبا مستلذا وتقدير الإيقاع على الآلات المخصوصة به ويشتمل على أنواع مبسوطة في محلها.

وإن كان موضوع العلم الجسم الطبيعي المادي من حيث ما يعتوره من التغيرات كمّا وكيْفا فهو العلم الطبيعي. ويشتمل على أنواع يقع فيه البحث عن المواد عموما وعن السماوات والعناصر والآثار العلوية والكون والفساد والمعادن والنبات والحيوان وفي النفس وقواها وما يستتبع ذلك من الانفعالات وقد يكون ذلك في عموم الجسم وهو علم السحر. وعلم الطلسمات. وعلم السيمياء وتفصيل ذلك يطول.

وقد جعل القرافي السحر جنسا لثلاثة أنواع، **الأول السيمياء:** وهو عبارة عما تركب من خواص أرضية كدهن خاص أو مائعات خاصة أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة وإدراك الحواس الخمس. أو بعضها الحقائق خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات وقد يكون لا حقيقة له بل تخيل صرف. وقد يستولي ذلك على الأوهام حتى يتخيل الوهم مضي

السنين المتطاولة في الزمن اليسير وتكرر الفصول وتحول السن وحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار في الوقت المتقارب من الساعة ونحوها وسلب الفكر الصحيح بالكلية، ويصير أحوال الإنسان مع تلك المحاولات كحالة النائم من غير فرق ويختص ذلك كله بمن عمل له سيء، ومن لم يعمل له لا يجد شيئا من ذلك. هـ.

قلت: وقد يكون كرامة لولي أو تأييدا لشاك كما وقع لفقير شاور الشيخ في زيارة أمه فغطاه الشيخ بثوبه فرأى نفسه في بلد أمه فبقي عندها أربعة أشهر ثم أراد الرجوع فوجد نفسه عند الشيخ. وقد قرأ القارئ بعده خمسة عشر حزبا.

وكقضية الرجل الذي استغرب أحوال الموقف يوم القيامة كيف يكون واحد يقف خمسين ألف سنة والآخر ساعة ثم ينقضي المحشر. فذهب يغتسل في دجلة غسل الجمعة قرب الوقت بساعة فلما اغتسل لم يجد ثيابه فتبع الطريق. فوقع في مصر فدخل في حانوت طباخ فستره وتزوج هناك وبقي سبع سنين وولد له أربعة أولاد ثم ذهب يغتسل للجمعة في النيل. فلما اغتسل وجد ثيابه الأولى فتبع الطريق فدخل بغداد فوجد الناس لم يصلوا الجمعة من ذلك اليوم. وقد ذكر القضية بطولها الفرغاني في شرح تائية ابن الفارض.

النوع الثاني من علم السحر: علم الهيميا وامتيازها من السيمياء بأن ما تقدم مما يضاف للخواص الأرضية يضاف للآثار السماوية من الاتصالات الفلكية وغيرها من أحوال الأفلاك فيحدث جميع ما تقدم ذكره وخص هذا النوع بهذا الاسم تمييزا بين الحقائق.

النوع الثالث: بعض خواص الحقائق من الحيوانات وغيرها كما يؤخذ سبع من الحجارة فيرمى بها نوع من الكلاب شأنه إذا رمي بحجر عضه وبعض الكلاب لا يعضه. فالأول إذا رمي بهذه السبعة أحجار فعضها كلب ثم قطعت بعد ذلك ومزجت في ماء فمن شرب منه ظهرت عليه آثار خاصة نص عليها السحرة. وهذا النوع من الخواص المغيرة لأحوال النفوس.

وأما خواص الحقائق المختصة بانفعالات الأمزجة صحة أو سقما نحو

الأدوية والأغذية من الجماد والنبات والحيوان المسطورة في كتب الأطباء. فليس هذا من علم السحر بل من علم الطب. ويختص السحر بما كان سلطانه على النفوس خاصة.

وأما الطلسمات فحقيقتها نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم في أجسام من المعادن أو غيرها فيحدث لها خاصية ربطت بها في مجاري العادات فلا بد في الطلسم من هذه الثلاثة الأسماء المخصوصة وتعلقها ببعض أجزاء الأفلاك وجعلها في جسم من الأجسام. ولا بد من ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كل النفوس مجبولة على ذلك.

ومن هذا النوع الأوفاق وهي ترجع إلى مناسبة الأعداد وجعلها على شكل مخصوص مربع يكون ذلك المربع مقسوما بيوتا فيوضع في كل بيت عدد حتى تكمل البيوت فإذا جمع صف كامل من أضلاع المربع فكان مجموعه عددا وليكن عشرين مثلا فليكن الأضلاع الأربعة إذا اجتمعت كذلك ويكون المربع الذي هو من الركن إلى الركن كذلك فهذا وفق، فإن كان العدد مائة ومن كل جهة كما تقدم مائة فهذا له آثار مخصوصة ويقال إنه خاص بالحروز ونصر من يكون في الولاية. وإن كان خمسة عشر من كل جهة فهو خاص بتيسير العسير وإخراج المسجون ووضع الجنين من الجنين وتيسير الوضع وكل ما هو من هذا المعنى.

وكان الغزالي رحمه الله يعتني به كثيرا حتى أنه ينسب له، وضابطه بطد، زهج، واح، كما هو مقرر في محله.

وإن كان البحث في المركبات الجامدة وما يعتريها من التغيرات فهو علم الكيمياء. وإن كان البحث في المركبات النامية غير الحساسة فهو علم الفلاحة.

وإن كان في خصوص الحيوان غير الناطق باعتبار حفظ الصحة وإعادتها فهو علم البيطرة.

وإن كان في خصوص الناطق فإن كان نظره في الاستدلال بظاهره على صفات نفسه من شجاعة أو سماحة أو ضدهما مثلا فهو علم الفراسة الحكمية.

وإن كان نظرا في حفظ الصحة واستعادتها بدفع المرض فهو علم الطب. وهذه فنون من العلم الطبيعي وهي مأخوذة في الملة الإسلامية ولذا نبهنا عليها.

وإذا أضيف العلم الطبيعي إلى الرياضي يسمى الفلسفة. فالفلسفة مركبة من العلم الرياضي بأنواعه والعلم الطبيعي بأنواعه المتقدمة، فإذا أضيفت الهندسة والحساب إلى المنطق فهي التعاليم. وكانت تلقن للصبيان ليتعلموها فيرتاضوا. إذ يكفي فيها مجرد العقل بلا حاجة إلى تجريب ولا مشاهدة ولا نقل.

فهذه علوم الأقدمين على الإجمال، أخذ المسلمون منها ما عمت منفعته وعظمت كالإلهي والمنطق والحساب والطب والتفسير وما يحتاج إليه من علم الهيئة ونحو ذلك من المهم. والأكثر منها متروك اليوم إما لعدم الحاجة إليه. أو لقصور الهمم عنه.

وإن كان موضوع العلم الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء في علم الناموس الأعظم ويسمى السياسة السماوية وهو أحكام الوحي والنبوءة. ولنقتصر على خصوص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه من الوحي وما صدر عنه من حكم وحكمة لأنه جامع.

فنقول: إن كان نظرا في الكتاب المنزل عليه صلى الله عليه وسلم فهو علوم القرآن فإن كان نظرا في رقم اللفظ فهو علم الرسم. وإن كان في التلفظ فهو علم القراءة. وإن كان في فهم معناه فهو علم التفسير، وفيه علم الناسخ والمنسوخ وعلم أسباب النزول وغير ذلك من العلوم الكثيرة. والعلوم كلها في كتاب الله تقتنص بواسطة علم التفسير وفهم أهل الحقائق والإشارات.

وإن كان نظرا في استنباط الأحكام منه وإن كان دليلها تفصيليا فهو نظر الفقيه. وإن كان إجماليا فهو نظر الأصولي، فبانضمام ما أخذ منه تفصيلا من الأحكام الشرعية إلى ما أخذ من السنة كذلك، ومن الإجماع والقياس وسائر أنواع الاستدلال، يحصل مجموع الفقه، فهو العلم الباحث عن الأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وتشتمل على ثلاثة أنواع العبادات والعادات

والمعاملات وقد يلاحظ ما يختص بأحكام التركة وهو فقه المواريث، وقد يعتبر كيفية قسمها وما ينجر إلى ذلك علم الفرائض فهو مركب من فقه وحساب وبانضمام ما أخذ منه إجمالا إلى ما أخذ من السنة كذلك والإجماع والقياس وسائر الاستدلالات مع كيفية التعادل وصفة المجتهد يحصل علم أصول الفقه. فهو العلم الباحث عن الدليل الشرعي من حيث الإجمال مع معرفة التعادل وصفة المجتهد. وهذا العلم مأخوذ من الفقه أولا ثم صار أصلا له. ومعنى ذلك أن الذي وقع به خطاب الله إلى المكلفين هو الأدلة التفصيلية وهو الفقه. ثم لوحظ فيه جهة إجمال فاتخذت منها قواعد مثلا قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]. له جهتان جهة خصوص وتفصيل وهو كونه أمرا بالصلاة وهو نظر الفقيه وجهة عموم وإجمال وهو كونه أمرا في الجملة وهو نظر الأصول ينظر في الأمر مثلا عند الإطلاق وأنه للوجوب أو للندب أو غير ذلك. وكذلك في النهي وسائر الأقوال. وإنما يتلقي ذلك من استقراء الأوامر الجزئية وأنها مستعملة في الوجوب أو الندب. فدل تواترها على ذلك على أن الأمر كذلك. وكذا القواعد الأصولية كلها مأخوذة من الجزئيات الفرعية.

فإذا تشابهت عدة مسائل شرعية في معنى واحد اعتبر ذلك المعنى قاعدة يستنبط منها ما ينزل من أمثالها فصارت تلك القاعدة فرعا من تلك الجزئيات بحسب الوجود الخارجي. إذ لولا هي لما تعلقت وهي أصل لها ولأمثالها في التعقل الذهني إذ لولا هي ما تحققت.

وهذا معنى استخلاص دقائق الموجودات كلها على مذهب من يرى أن الاسم موضوع للمعنى الخارجي.

وبحسب الاختلاف في تأويل النصوص الشرعية واستخلاص القواعد منها اختلفت المذاهب الفقهية. ثم كل ذي مذهب كمالك والشافعي رضي الله عنهما وغيرهما. تعتبر فتاويه في مذهبه تستخلص منها قواعد خاصة بمذهبه. ومن تضلع

(1) سورة البقرة، الآية 43.

منها كان له الاجتهاد في ذلك المذهب.

كما أن من تضلع من فن الأصول الجامع المذكور يمكنه الاجتهاد المطلق. وقد أدرجوا في الأصول شيئا من الأحكام ومن اللغة وعلم الكلام لاستمداده من هذه الفنون وقد يدرجون فيها من علم المنطق ومن علم الجدل للاستعانة. فاتسع علم الأصول كما اتسع العلم الإلهي وعلم الطب بما أدرج فيهما.

وما ذكرنا من اقتباس فني الأصول والفقه من القرآن هو باعتبار استنباط الأحكام الفرعية.

وإن كان نظرا في استنباط الأحكام الأصلية الاعتقادية فذلك علم أصول الدين وهو علم التوحيد وعلم الكلام ففي كتاب الله بحمد الله ما يحتاج إليه من إثبات العقائد وسائر السمعيات والاستدلال على ذلك والرد على الخصوم ما يكفي ويغني عن نقل العلم الإلهي عن الفلسفة.

وذلك أن حاصل هذا العلم ثلاثة أنواع: الإلهيات ونبويات وسمعيات وهي كلها مذكورة في القرآن بأبلغ وجه. ما يحتاج إليه الأول من الأدلة كحدوث العالم المشار إليه بخلق السماوات والأرض وخلق النفوس وغير ذلك. وهو مبسوط في مواضع كثيرة منه.

وما يحتاج إليه الثاني من ذكر أدلة النبوءة كانشقاق القمر والتحدي بالقرآن وغير ذلك.

وأما القسم الثالث فيكفي فيه الإخبار وهو مذكور فيه. وما أنكرته الخصوم من ذلك إمكانا ووجودا كالمعاد استدل عليه كقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[2]. وكتاب الله تعالى هو الشفاء من كل سقام والنجاة من كل هلاك والهدى من كل ضلال نسأل الله تعالى أن

(1) سورة الأنبياء: الآية 104.

(2) سورة يس: الآية 79.

يرزقنا فهم أسراره والتمسك به حتى نلقاه آمين.

وان كان نظرا في استنباط الأحكام الباطنة مما يرجع إلى استصلاح القلب بتخليصه من الصفات المذمومات وتحليته بالصفات المحمودات ليستعد للمواهب والتجليات ومراعاة آداب الأوقات فما أخذ من ذلك مع ما أخذ من السنة هو علم التصوف واختلفوا في تعريفه.

وأخص التعريفات ما قاله الشيخ زروق رضي الله عنه: هو صدق التوجه إلى الله بما يرضى من حيث يرضى. وقد أدرجوا فيه قسطا من الفقه مما يرجع إلى العبادات لتوقف صلاح الظاهر عليه.

ونوعه الشيخ أبو حامد الغزالي تحريرا كما في «القوت» إلى أربعة أقسام العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات وكل ذلك مذكور في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء الراسخين وفتوحات الأولياء العارفين.

وإن كان نظرا في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقاريره فهو علم السنة.

وإن كان نظرا في الرواية توثيقا وتضعيفا أو في المروي من حيث هو مرفوع أو موقوف أو غير ذلك فهو علم الحديث. وفيه أنواع كثيرة مبسوطة عند أهله.

وإن كان نظرا في استنباط الأحكام منه فرعا أو اعتقادا ظاهرا أو باطنا فهو على ما مر في القرآن.

فالعلوم الشرعية الكبار هذه الستة، علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم الأصول وعلم أصول الدين وعلم التصوف. وثلاثة منها هي المقصودة بالذات وهي علم الفقه وعلم أصول الدين وعلم التصوف وقد نشأ من علم الأصول علمان آخران علم الخلاف. وعلم الجدل.

وإن كان موضوعه أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما عرض له منذ ولادته إلى أن توفاه الله تعالى إلى كرامته من حيث حكايته. ذلك على التعميم

فهو علم السيرة. ويقال له علم السير وربما يقال لما وقع له عليه السلام ولأصحابه من الحروب مع الكفرة علم المغازي. ولذلك يجمع بينهما أحيانا فيقال علم المغازي والسير لما ذكر فيهما من أخبار أجداده صلى الله عليه وسلم وأنسابهم وتشعب القبائل في ذلك ما يتعلق بالمقصود مع ما يناسب ذلك من ذكر بلده صلى الله عليه وسلم مكة وذكر بيت الله الحرام ومن بناه ومن احترمه من الملوك الأول ومن سعى في نقضه وما يتعلق بذلك كله وهو شعبة من علم التاريخ.

وإن كان موضوعه خصوص أحواله صلى الله عليه وسلم الشريفة وأخلاقه الكريمة وفي ملبسه ومأكله ونومه ويقظته ونحو ذلك فهو علم الشمائل.

فهذه العلوم الثلاثة مع ما مر من علم الرسم وعلم القراءات علوم شرعية ونعني بالشرعية ما تُلُقِّي من الشرع أو كان مأخوذا في هذه الملة المحمدية. مما للشرع فيه مدخل ولم يكن من علوم الأوائل.

وعلى هذا فعلوم العربية يصح أن يقال فيها شرعية بهذا الاعتبار لأنها في هذه الملة اعتبرت ويستعان بها فيها ويصح أن يقال إنها وسائل بعيدة.

وعلى هذا يقال علوم الملة إما شرعية وإما لغوية وقد أدرج علم الكلام في الشرعيات مع كونه من علوم الأوائل لأنه مقرر في الكتاب والسنة بما أغنى عن كلام الأوائل كيف وهو أحد ركني الشريعة، فإن المطلوب بالدعوة إنما هو الاعتقاد والعمل بوجوده عند الأوائل ليس لكونه علما لهم. لكونه مما تضافرت عليه الشرائع واتفقت عليه العقلاء كما قال صلى الله عليه وسلم: <<أولاد علات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد>> أي متفقون في أمر التوحيد.

ولو أردنا الشرع ما يباح تعاطيه شرعا أو ما له إعانة في الشرع لكانت العلوم المتداولة كلها شرعية ولا يلتفت إلى من يحرم علوم الفلسفة والمنطق مثلا. فإن جميع الوسائل تعتبر مقاصدها. فمن تعلم علما ليتوصل به إلى واجب أو مندوب أو مباح وجب تعلمه أو ندب أو أبيح حتى أن السحر من تعلمه ليؤذي به معصوم الدم كان تعلمه حراما ولو تعلمه بمجرد أن يتحققه ليميز بينه وبين المعجزة

أو ليتحقق فاعله عندما ينسب إليه ليقع الحكم عليه بالقتل مثلا أو الأدب كان تعلمه لذلك جائزا وواجبا لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فالحكم بالحد على الساحر فرع تصور الساحر، وتصور الساحر فرع تصور السحر فافهم هذا المقصد ولا تلتفت إلى أراجيف المتنطعين، واعرف بذلك قدر من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم. <<إنما الأعمال بالنيات>>.

والعلم بالشيء خير من الجهل به فإن العلم غذاء العقل ونزهة الروح وصفة الكمال وإنما تختلف الثمرات. قاله الشيخ اليوسي.

ثم قال: وإن كان موضوع العلم اللغة أعني كلام العرب وهي ألفاظهم التي يتحاورون بها. فإن كان نظرا في فهم معناها فهو علم متن اللغة. وان كان نظرا فيما يعتري اللفظ من تصحيح وإعلال ونحوه فهو علم التصريف. وان كان نظرا فيما يعتري اللفظ في آخره من حركات وسكنات وبناء فهو علم الإعراب، ويسمى مجموعهما علم النحو وقد يراد بالنحو الثاني فقط لأنه هو القديم الموضوع أولا.

وإن كان نظرا في صورة اللفظ ومادته فهو علم الاشتقاق ويندرج في النحو لأنه شعبة من التصريف.

وإن كان نظرا في إيراد اللفظ الواحد بالوجوه المختلفة في وضوح الدلالة فهو علم البيان.

وإن كان نظرا في تحسين اللفظ بوجوه معنوية أو لفظية فهو علم البديع. ويسمى الجميع علم البيان تغليبا. وهذا كله في الكلام العربي على الإطلاق.

فإن كان في خصوص الموزون منه فهو علم الشعر. وان كان نظرا في نفس الوزن ومعرفة الزائد والناقص من الحروف والحركات فهو علم الميزان. وإن كان نظرا في ختم البيت فهو علم القافية. ويسمى المجموع علم العروض.

وان كان نظرا فيما يحسن إيراده في الشعر إفرادا وتركيبا وما لا يحسن. فهو علم نقد الشعر.

وان كان نظرا في صنعة الشعر والقدرة على صوغه فهو علم الشعر الخاص

أي علم الصنعة وبها يتصف الإنسان بكونه شاعراً.

ويقابله علم الكتابة من المنثور أعني القدرة على صنع الرسائل والتحليات والتصليحات ويسمى ذلك علم الكتابة. ويقال لصاحبه كاتب.

وتسمى البراعة في الصنعة الشعرية بالاتساع في فنونه واستنباط عيونه وسلوك السهل منه والصعب والانسحاب معه في كل شعب علم الأدب، ويطلق على العلوم اللغوية كلها.

ويقال له أيضا علم العربية وهي بإزاء المنطق في الفلسفة لأنه موضوع لإصلاح الفكرة وهي موضوعة لإصلاح الجنان غير أنها لما تعلقت باللفظ اختصت منفعتها باللغة العربية، والمنطق لما تعلق بالمعاني وهي مشتركة في اللغات والأمم عمت منفعته. فلذلك نقل من العجمية إلى العربية. فكان نافعا في الطرفين بخلاف العلم المتعلق باللسان فهو مختص إذ لكل قوم لسان ليس لغيرهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ﴾[1].

فعلوم العربية مخصوصة بالعربية غير أنه يجب أن يعلم أن هذا إنما هو فيما يرجع إلى ألفاظهم الموضوعة لمعانيها وتراكيبها المخصوصة.

أما ما يرجع إلى الأغراض المؤداة فهي مشتركة فقد بلونا لغة العجم لاسيما لغة البربر فوجدناها مشتملة على جميع ما في لغة العرب من المقاصد والمعاني وما فيها من تقديم وتأخير وذكر وحذف وإيجاز وإطناب وغير ذلك. لا يكاد يوجد بين اللغتين فرق إلا مجرد العبارات وخصت العربية بالفصاحة والسلامة وبعض الأساليب الحسان والله تعالى أعلم.

وإن كان نظرا في تفسير خصوص ما أشكل من الألفاظ اللغوية معنى فهو علم غريب اللغة. وقد صنف فيه كثير من الأئمة. ومثل ذلك يكون في ألفاظ القرآن وألفاظ الحديث. فيقال له غريب القرآن وغريب الحديث وصنفوا فيه.

وقد يقع البحث في حروب العرب وما يقع فيها من الكلام شعرا ونثرا وغير

(1) سورة الروم: الآية 22.

ذلك وهو علم أيام العرب.

فإن الأيام هي الحروب وأصل ذلك أنهم يقتتلون في يوم من الأيام فيكون الظفر للبعض فيقولون ظفرنا بهم يوم كذا ولنا عليهم الظفر يوم كذا. ثم توسعوا فقالوا: لبني فلان يوم على بني فلان. وجرت بيننا وبينهم أيام يريدون الحروب. وهي مذكورة في كتب الأدب بأسمائها.

وإن كان موضوع العلم الأخبار غير ما مر فإن كان نظرا في الدنيا ومداها وأعمار الناس واختطاط البلدان وخلائها ونحو ذلك مما ينظر في ابتداء وجوده ومدة إقامته وما يتعلق بذلك فهو علم التاريخ فقد يقع في الدول من أول المملكة الإنسانية. وقد يختص بخبر دون غيره وقد يختص بالدولة الإسلامية وقد يكون في أعمار الأعيان ووفياتهم. وقد يكون في اختطاط البلدان والمساجد والرباطات ونحو ذلك وكلما يحتاج إليه في شيء من أمور الشرع من ذلك كتاريخ سكة معلومة ومكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقى فلان من الرواة بفلان. أو مكان التقائه أو كون فلان من المتقدمين والمتأخرين. أو من الصحابة أو لا. أو غير ذلك من فوائد علم التاريخ.

وأعظمها الاعتبار والنهوض إلى طلب مقاماتهم وإدراك أحوالهم والاهتزاز لوصف محمود بسماع أخبار من اتصف به من صلاح أو عبادة أو زهادة أو شجاعة أو حلم أو سخاء ونحوه. ولا سيما كرامة الأولياء وأحوالهم فهو سبب لنزول الرحمة وجند من جنود القلوب فهو محمود وجدير بأن يطالع.

وإن كان موضوعه غير هذا النوع من الأخبار فقد يكون راجعا إلى حكايات أمور تنقل على أنها وقعت أو ستقع سواء كان ذلك صحيحا في نفس الأمر أو كاذبا فهو علم القصص على الإطلاق كالإسرائيليات.

ففي الخبر: حدِّث عن البحر ولا حرج. وحدث عن بني إسرائيل ولا حرج. وكأخبار الزمان المتضمن أخبار الجنة والنار وغير ذلك. وقد يدخل شيء من الأحاديث في هذا النوع. وقد يرجع إلى حكايات تقدر واقعة وهي لم تقع وهذا فن

آخر تارة يقدر فيه على الجمادات والعجماوات إخبارا بلسان حالها بما يعد أمثالا وحكما وهذا نوع استعمله العرب قديما وإليه ينسب كتاب كليلة ودمنة.

وفائدته ظاهرة يعبر عامة للناس وتارة على الناس إما لمجرد إبانة الاقتدار على الكلام نظما ونثرا مع ما يتضمنه الكلام من الفوائد والأغراض كما في المقامات الهمذانية والحريرية وأضرابها. وإما لمجرد تحلية الأسماع بالأمور الغرائب قصدا للتلميح والإطراف في المحاضرات والمسامرات وهو علم البطالين أهل الخلاعات والهزليات من المحادثات من سخفاء العقول والمجان وبعض سخفاء الملوك.

وقد يتفق من هذا النوع بعض ما وقع بعضه أو يقع ويزاد عليه كالعنتريات والعلايات. ومن هذا النوع بعض المغازي والفتوح.

ويدخل في هذا الفن ما يقدر على ألسنة الجمادات كالتفاخر بين السيف والقلم ونحو ذلك.

وينخرط في هذا السلك فن الخرافات كلها فإن المقصد والثمرات واحدة والفرق بين هذا الفن والذي قبله أن الأول هزل في قالب جد وهذا هزل صريح.

وأصل الخرافات أن رجلا من بني عذرة اسمه خرافة استهوته الجن فبقي عندهم زمنا ثم رجع فجعل يحدث الناس بأشياء زعم أنه رآها من الجن غريبة خارجة عن المعتاد. فاستغرب الناس ذلك منه وأنكروه فجعلوا كلما سمعوا حديثا غريبا قالوا حديث خرافة - أي من ذلك الجنس - فصار مثلا. ثم توسع فيه العامة حتى أطلق اسما للحديث نفسه.

وقد بقي من العلوم المعتبرة علمان: **أحدهما:** علم الأمثال جمع مثل والمراد به المثل السائر وهو ما شبه مضربه بمورده. كقوله لمن ضيع حاجة في إبانها ثم جعل يطلبها: الصيف ضيعتِ اللبن. بكسر تاء الضمير.

وإن كان المخاطب ذكرا لأن المعنى حالك شبيهة بحالة المرأة التي قيل لها الصيف ضيعت اللبن. وهي امرأة مشهورة كانت فركت زوجها ـ أي أبغضته ـ

وسألته الطلاق فطلقها زمن الصيف. فتزوجت فتى مُقلا وكان الأول ذا مال فمرت بها يوما إبله فأرسلت المرأة تطلب لبنا فشاوروه فقال قولوا لها الصيف ضيعت اللبن ـ أي سؤالك الطلاق فيه ـ وكان زوجها حاضرا فضربت بيدها على كتفه وقالت: هذا ومذمة خير. فذهبت أيضا مثلا.

ثانيهما: علم الحكمة: وقد اختلفوا في تفسيرها فقيل الشرع. وقيل النبوءة وقيل القرآن وقيل العلم وقيل الحلم وقيل العدل وقيل الإصابة في الرأي وقيل إتقان العلم والعمل. والظاهر أنها الإصابة وهي في الإنسان تقوم بقلبه تظهر آثارها على جوارحه. ففي اليد مثلا الصنائع العجيبة. وفي اللسان المعاني الغريبة.

ولذلك يقال نزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد، على قلوب اليونان وعلى ألسنة العرب وعلى أيدي أهل الصين. فإن اليونان قد أعطوا الأنظار في العقليات واستخراج البراهين المنطقية. والعرب قد أعطوا الحكمة في أشعارها وخطبها. وأهل الصين قد أعطوا الصنائع البديعة في البنيان والنقوش.

فإذا علم هذا فالمراد من الحكم التي تذكر في هذا الكتاب ونحوه إنما هي القولية، وليس المراد كل كلام أفادك معنى صحيحا بل هو ما فيه مزيد دقة وغرابة مما لا يفطن إليه إلا الخصوص مع اشتماله على ما ينفع عاجلا وآجلا ولو بالتنبيه ومزيد علم وفطنة.

ومثالها قول علي كرم الله وجهه: ما لابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة.

وهذان العلمان من أجلّ العلوم وأنفعها للخاصة والعامة صقلا للألباب وزينة في الخطاب ففيهما مصلحة القلوب والألسنة، وأحوج الناس إليهما أهل المحاضرات والمكاتبات والمراسلات، والشعراء والخطباء، وليس للأمثال والحكم واضع معين. وإنما ينطق الله تعالى بها من يشاء من عباده. فمنها ما عبر به عن لسان حال الجمادات والعجماوات كما مر.

ومنها ما تكلم به الناس في الوقائع والوصايا. وصدر كثير من ذلك عن

حكماء العرب وحكامهم ورؤسائهم. كأكثم بن صيفي وقس بن ساعدة وسيف بن ذي يزن وغيرهم. واشتهر لقمان بذلك وذكره الله تعالى في كتابه. وناهيك بذلك مزية، ونبينا صلى الله عليه وسلم قد أوتي من ذلك ما لم يؤته أحد غيره. فمن الأمثال التي ابتكرها قوله: <<حمي الوطيس>>.

و<<لا ينتطح فيها عنزان>>. إلى غير ذلك.

وأما الحكمة فبحر لا يدرك غوره، ولا ينزف غمره، كيف وهو صلى الله عليه وسلم ينبوع الحكمة وسراج الهدى ومدينة العلم وإمام المتقين وقدوة العارفين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقد بقيت علوم أخر شذت عن التقسيم السابق تركنا ذكرها لقلة نفعها بل ورد الشرع بذم بعضها كعلم القيافة وهي معرفة النسب بتوسم الصورة وهي لبني مدلج وهذا العلم شعبة من الفراسة والحكمة.

وكعلم الزجر وحاصله الاستدلال بحيوانات طائرة أو ماشية أو جمادات من حيث حركاتها وأصواتها على الغيب وهو منهي عنه. ومثله الضرب بالحصى وعلم الأنواء.

وكعلم الرمل وهو الاستدلال بأشكال تخط في الرمل وغيره. وكعلم الشعوذة وكعلم النيروجات وسائر الحيل التي تغالط بها العقول. وكعلم الكف وغيره مما يطلع به على الغيب. وكالخط والقريعة التي يستعملها النساء ومن تشبه بهم. فهذه الأمور كلها وقع النهي عنها وعن تعلمها.

واعلم أن العلوم كثيرة لا تنحصر، لا سيما ما يستند إلى العقول والإلهامات. وإنما أشرنا إلى أمهاتها المتداولة ونبهنا بذكر الموضوعات على تفاريعها ولم نبسط الكلام عليها لأن ذلك يستدعي طولا ولا يفي به إلا تأليف مستقل قاله الشيخ اليوسي في فهرسة له.

قلت وقد بسطنا الكلام عليها في أول شرحنا الكبير للفاتحة فذكرنا لكار علم حده وموضوعه وواضعه إلى تمام مبادئه العشرة فلينظره من أراد الوقوف

على ذلك.

والذي حصلناه من علوم الأذهان علم المنطق والكلام محلى مذهب أهل السنة والمهم من علم الهيئة.

ومن علم الأديان علوم القرآن وخصوصا التفسير فقد فتح علي فيه ما لم يفتح على أحد غيري في زماننا هذا. وقد فسرت كتاب الله عز وجل على طريق أهل الظاهر وأهل الباطن بما لم يُسبق إليه.

وحصلنا الفقه بأنواعه وأصول الفقه وأصول الدين وهو علم التوحيد على طريق البرهان. ثم صحبت الرجال فترقيت إلى مقام الشهود والعيان.

وأما التصوف فهو علمي ومحط رحلي فلي فيه اليد الطولى والقدم الفالج حزت فيه قصب السبق على طريق أهل الأذواق فلله الحمد وله الشكر. وقد صنفت فيه كتبا وقد تقدم ذكرها. ونظمت فيه قصائد ستأتي إن شاء الله.

وحصلت أيضا علم الحديث وعلم السير وعلم المغازي والتاريخ والشمائل.

ومن علم اللسان علم اللغة والتصريف والنحو والبيان بأنواعه، وقد تقدم ذكر المشايخ الذين أخذت عنهم.

وأما علم الشعر وهو علم العروض فلم أحرره لبرود القريحة فيه عند طلبه، وكذلك علم الحساب الغباري لم أدركه كذلك كان ألقي في ذهني وقت قراءة العلم أنهما يجران إلى الدنيا فزهدت فيهما. وقد كنت وقفت على كلام عن بعضهم ذكر فيه فوائد العلوم فقال: الفقه طعام والتصوف إدام والنحو ملح .المنطق والكلام توابل، واللغة بساط والأصول منهاج والبيان سراج والحساب إفادة، والفرائض زيادة، والتاريخ عبرة، والتنجيم حسرة، والتفسير عمدة، والحديث حجة، والعروض أشغال، والقراءات كمال. وكنت نظمت ذلك فقلت:

1 واعلم بأن العلم للأرواح * بمنزل الغذاء للأشباح

2 فالفقه كالطعام للأبدان * إدامه تصوف الجنان

3 وملحـــه بإصـــلاح اللـــسان * بـــساطه اللغـــة بالإتقـــان

4 إبـــزاره المـــنطق والـــكلام * مـــنهاجه الأصـــول ذا تمـــام

5 ســـراجه البـــيان والـــبلاغه * والإرث والحـــساب للإفـــاده

6 وعبـــرة الـــتاريخ لا تنـــساها * وعمـــدة التفـــسير خـــذ أقـــصاها

7 وحجـــة الحـــديث للإنـــذار * ودع علـــوم الـــنجم والأشـــعار

8 فغايـــة الأشـــعار شـــغل الـــبال * وحـــسرة التنجـــيم فـــي المـــآل

9 وإن أردت الفـــوز بالكمـــال * فجـــود الـــسبع مـــدا الليالـــي

وقد يحتاج الفقير بعد النهاية إلى علم الشعر لأنه إذا غنى ربما لحن فلا يقبل منه عند أهل الظاهر فيقل النفع بكلامه والله أعلم. فجملة ما حصلناه من العلم ستة عشر علما. ولما اطلعنا على علم الحقيقة سرطت ذلك كما قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن الفاسي أي وقع الغنى عنها.

فمثال علم الظاهر مع علم الباطن كمن عنده بيت من الفلوس ثم أعطي بيتا من الذهب أو الإكسير. فكيف يلتفت إلى الفلوس من أعطي مثلها من الذهب أو الإكسير فالاشتغال بعلم الظاهر بعد تحقيق الشهود بطالة إلا إذا كان تنزلا للغير بعد التمكين، والله تعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ذكر ما أجرى الله على لساننا من الكلام والحكم نظما ونثرا

فمن ذلك قصيدة عينية في بعض آداب الصوفية وهي هذه:

1 سقاني حبيبي من مدامة حبه * فأصبحت من خمر الهوى أتضلع
2 فلما سقاني زاد منه تعطشي * فكان فؤادي بالجوى يتقطع
3 فلو أن الكون عرشه مع فرشه * كؤوس لخمر الحب ما أنا قانع
4 ولو عشت في الكونين نسقى من الهوى * على عدد الأنفاس ما أنا شابع
5 صحا الناس من سكر الحبيب وأفرقوا * وإني على الصهباء في الخان جامع
6 ولي لوعة بالراح إذ فيه راحتي * وروحي وريحاني وخير واسع
7 سكرنا فهمنا في بهاء جماله * فغبنا عن الإحساس والنور ساطع
8 تبدت لنا شمس النهار وأشرقت * فلم يبق ضوء النجم والشمس طالع
9 تنحى رداء الصون عن كون ربنا * فسرنا إلى نور الحبيب نسارع
10 فقال لنا أهلا وسهلا ومرحبا * فهذا جمالي حقا فيه تمتعوا
12 تنزهوا معشر الأحبة عندنا * فهذا الذي حنّت إليه المطامع
13 حذار حذار من فراق أحبتي * بسوء أدب منك إنه قاطع
14 تأدب مع الأحباب في كل وجهة * وشاهد جمالي إني للكل جامع
15 وفي حالة الإبعاد والقرب والصفا * وفي الجفا شاهدني وقلبك خاضع
16 وفي حالة الرضى مع السخط إنني * أنا مظهر الأشيا لنا الأمر راجع
17 وفي البسط آداب إذا لم تقم بها * تزلّ بك الأقدام والقلب تابع
18 حياء وهيبة وتعظم نعمة * ومسك لسان القول إنه راتع

19 وإن جنك ليل من القبض حالك * فهيئ له صبرا فضوؤه تابع
20 سكون وتسليم لما قد جرى به * قضاء محتم من الحق واقع
21 وللفقر آداب تحقق نسبة * إلى من له علم التصوف ذائع
22 زهادته في الكون رفعا لهمة * وإيثاره بذلا بقلب يسارع
23 تواضعه ذلا لمن له عزة * وصحبته شيخا إليه المراجع
24 وتعميره للوقت من كل طاعة * فتضييعه للوقت غبنه شائع
25 مع الشيخ آداب إذا لم تكن له * فإنه في وادي القطيعة راتع
26 خضوع وهيبة وصدق محبة * وعقد كمال فيه أنه جامع
27 فلا ترفعن صوتا إذا كان حافرا * ولا تضحكن فالضحك فيه فجائع
28 ولا تعترض أصلا عليه فإنه * بنور شهود للبصيرة تابع
29 ولا ترمين عينا إلى ماء غيره * فترمى كسيرا في المعاطش ضائع
30 ولا تخرجن من عش تربية غدت * تمدك بالأنوار منها تتابع
31 إلى أن ترى الترشيد قد حان وقته * وصرت من التمكين أمرك شائع
32 تمد من الأنوار في كل وجهة * وتسقي من الأنام من هو تابع
33 تمسك بمنهاج الشريعة إنها * أمان من كل هول للظهر قاطع
34 فشد لها يد الضنين فمنتهى * كمال الكمال منك هو الشرائع
35 فخير ولي الله من كان سره * شهود وظاهر من الشرع كارع
36 فهذا الذي حاز الوراثة كلها * وأضحى غنيا للحبيب متابع
37 عليه صلاة الله ثم سلامه * يؤمان بالتعظيم من هو شافع
38 وبالرضى عن كل الصحابة جملة * وآل نبي الله ومن هو تابع

ومن ذلك قصيدة تائية في الخمرة الأزلية وهي هذه:

1 أحن إلى خان الحميّا لنشوة * تطيش لها الألباب في حال سكرتي
2 أهيم بها وجدا وأفنى بها عشقا * فإن جاءنا صحو شربنا بسرعة

3 أقيم بها دهري مديما على سكري * مصرا على شرب الحميا السنية
4 فلا صبر عن شرب المدام إذا صفا * فإن مزجت فالشرب أبلغ منية
5 وكيف بترك الراح والراح راحتي * ومنه قوامي في القديم ونشأتي
6 سكرنا بها قدما وبعد نشأتي * وفي النشأة الأخرى تدوم مسرتي
7 ففي سكرة منها سرور وغبطة * وخير حياة في نعيم وبهجة
8 فيا غبن من لم يشف منها غليله * لقد كساه الحرمان ثوب مذلة
9 ويا فوز من أضحى لها متضلعا * على عدد الأنفاس في كل وجهة
10 هنيئا له فالأمر عند مراده * وعبدا يصير الدهر في كل خدمة
11 فإن تسألوني عن نعوت كمالها * فإني خبير عن شهود وخبرة
12 تقدم كل الكون نور بهائها * لطيف خبير في صفاء وقدرة
13 وقامت بها الأشياء حين تنوعت * وعن كل ذي جهل خفيت لحكمة
14 فلا قبلها شيء ولا بعدها كون * وليس لها مثل في حكم الحقيقة
15 أحاطت بكل كون عزا وقدرة * وعلما وسمعا في حياة وقوة
16 تقادم عصرها لقدم حديثها * على كل كون بالرسوم تجلت
17 وهامت بها الأرواح حين تمازجت * فلم يبق شكل في تحقق وحدة
18 لرقة خمر في الأواني تلطفت * للطف معان الخمر في أصل نشأتي
19 فطورا تغيب الخمر في جرم كاسها * وطورا تغيب الكأس في خمر نشوتي
20 وغيب الأواني في المعاني محقق * فناء الأواني في المعاني القديمة
21 فأشباحنا كأس وأرواحنا خمر * وساق لها جذب العناية حفت
22 فإن أسكرت خمر المعاني تغيبت * أواني المعاني في تقدم نشأة
23 تنزهت عن حكم الحلول في وصفها * فليس لها سوى في شكله حلت
24 تجلت عروسا في مرائي جمالها * فأرخت ستور الكبرياء بعزة
25 فما ظهر في الكون غير بهائها * وما احتجبت إلا لحجب سريرة

26 رسولا لها منها يجيء بشرعة * ويتلو كتابا ذا علوم وحكمة
27 فتبدي له منها انقيادا وطاعة * إذا كان من سهم النعيم في قسمة
28 وتبدي له كفرا وجحدا لشقوة * أحاطت بها والملك أبلغ حجة
29 وما هي في حكم التصوف ظاهرا * سوى شهود التمويه في جري حكمة
30 فها أنا قد أفشيت ما كان كشفه * يريق دماء القوم في حكم شرعة
31 فجمعك باطنا يكون مواصلا * وفرقك ظاهرا بتحقيق نسبة
32 وصل وسلم دائما متواليا * على بذرة الأكوان في خير نشأة
33 محمد المبعوث غيبا ومشهدا * فكل رسول ناب عنه في شرعة
34 وبالرضى عن كل الصحابة جملة * وآل نبي الله أعظم نسبة

ومن ذلك قصيدة تائية في تفسير الملك والملكوت والجبروت والرحموت والناسوت واللاهوت وهي هذه:

1 إذا حبست نفس في سجن الهوى الذي * تقيد به العقل في قهر قبضة
2 وأشغلها حس الأواني لحكمة * فلم تر إلا الكون في كل وجهة
3 فذلك عين الملك بالحس حاصل * وناظره المحجوب في سحب ظلمة
4 وان نفذت روح المقدس سره * إلى درك سر الذات خلف الأنية
5 ونعني به سر المعاني التي سرت * في كل الأواني عند أهل الحقيقة
6 فذا ملكوت الله يسمى لوسعه * وعارفه يحظى بفتح بصيرة
7 وإن سبحت بحر اللطافة والصفا * وأصل الأصول والفروع بفكرة
8 فذا جبروت ليس يدركه الفتى * ولكن يخوض منه في طرق لجة
9 وان نظرت أصل الإيجاد برحمة * وجريها في الأشياء طرا بنعمة
10 فقل رحموت فيه يدريه عارف * تخلق باسم الحق في كل نسبة
11 وحس الأواني يسمى ناسوت سره * كما باطن المعنى بلاهوت قدرة
12 فمن خاض في هذي العوالم كلها * وأضحى رئيسا في الجميع برتبة

13 فذاك الذي يضحى كبيرا مقدما * مكينا يربي الخلق طرا بهمة
14 تناهى فيه علم وذوق وهمة * علية قدر ذو بحار زكية
15 تداركه جذب العناية مسرعا * فخاض بحار الجمع في عين شرعة
16 فما زال يحدو بالمريد قلوصه * يجد حثيث السير في كل لحظة
17 يجوب به أرض المهامه والوغى * إلى أن يزج الروح في خان حضرة
18 تغيب عن الأكوان في حال سكرها * فلا ترى إلا الحق في كل وجهة
19 فيا لها من نشوى لو هبّ نسيمها * على قبور الأموات أحيت بسرعة
20 ولو عبقت أنفاس طيبها في الورى * لأضحوا سكارى بالجميع في لحظة
21 ولو بيعت الأرواح في قرب خانها * لكان لها بيعا رخيصا بصفقة
22 فهِم وتنزه في كمال جمالها * ولا ترض في غير الحبيب بنظرة
23 وجز بسيف العزم سوف وكل ما * يحوم بحول الوهم قطعا بسرعة
24 تنبه لدرك العمر واعمر زمانه * بذكر صفي القلب أو فكر نظرة
25 تدوم على ذاك المسير رغبة * إلى أن يقيم القلب في عش حضرة
26 محل شهود للحبيب مناجيا * تمازج حب الحب في حال خمرة
28 فكنت به تسمع وتبصر ناظرا * وأنت لكل الكل جمع بقوة
29 تحقق بوصفك الذي أنت أهله * وليس لك سوى التحقق بالنعت
30 وصل وسلم دائما متواليا * على نور سر السر خير البرية
31 وآله ذي الطهر النزيه ومن تلا * من الآل والأصحاب في كل حقبة

ومن ذلك قصيدة رائية في تفسير الروح وأطوارها وهي هذه:

1 فيا باحثا عن سر روحه فاستمع * وكن تاليا للأمر في محكم الذكر
2 لطيفة نور في كثافة ظلمة * ولكن بدر التام في ليله يسري
3 فإن أشرقت شمس النهار تغيبت * غياهب ليل عن سما قلبك الدري
4 ألا إن شمس الحس تغرب ليلها * وليس لشمس الحق من أفل يجري

5 هي النفس ثم العقل والقلب تاليا * لها الروح ثم السر في صفاء التبر
6 فإن أخلدت أرض الهوى وتظلمت * فنفسا تسمى ذاك في أول الأمر
7 وإن عقلت أيدي الهوى بأزمة * فعقل به نيط التكلف بالأمر
8 وإن سكنت للخير لكن خواطر * تقلبها قلب السفين على البحر
9 بذاك تسمى القلب مالك أمرها * به صلاح الأعضاء في السر والجهر
10 وان لحظت روح الوصال يؤمها * وزال تعب الحس في سعة الذكر
11 فروحا تسمى في نشأة أصلها * ولكن بقايا الحس تسرق للبر
12 فإن صقل المرآة عن غبش حسه * فذلك سر الله ضم إلى السر
13 وكل محل باستقامة أصله * تنقله الأنوار منه إلى الغير
14 ولا بد من إصلاح ما كان ظاهرا * فإصلاحه منه لباطنه يسري
15 فتطهير نفس من مساو تكثرت * كغل وبخل واعتلاء ذوي الكبر
16 إلى غير ذا هي استقامتها التي * بها نقلت للعقل ذي النهى والزجر
17 وكفه عن حب الحظوظ تمنيا * وزجر عن درك الربوبيّ بالفكر
18 بذا يستقيم في أصالة نوره * فيرتقي قلبا بالعلو وبالنصر
19 وفي القلب إن حلت طمأنينة التي * تسكنه من خوف خلق ومن فقر
20 ومن كدر التدبير في أمر عيشه * وقد ضمن الرزاق ذا البر والبحر
21 هناك أنوار الشهود تطلعت * على قمر التوحيد في فلك يسري
22 فيسمى بها روحا لراحة كده * فإن قدست عن كل حظ فبالسر
23 هنيئا مريئا بالمعارف هنيت * ومن شراب التسنيم تسقى بلا كدر

ومن ذلك قصيدة دالية في الحضرة النبوية حاذيت بها التصلية المشيشية وهي هذه:

1 وصلِّ إله العرشى في كل لمحة * على عنصر الوجود سر محمد
2 تقدم كل الكون نور بهائه * فكان إلى الرحمان أول عابد

3 قد انشقت الأسرار من سر سره * فأبدى لنا سر الإله الممجد
4 ومن نوره الأسنى قد انفلقت لنا * معان صفات الذات من نور أحمد
5 وفي سما قلبه الصحى قد ارتقت * شموس حقائق الإله الموحد
6 وكل علوم قد تقادم عهدها * تنزلت في قلب الحبيب محمد
7 فأعجز كل الخلق بحر كماله * وكيف يحاط البحر بالغرف باليد
8 تلاشت فهوم الخلق في بحر سره * فلا سابق يدري حقيقة أحمد
9 ولا لاحق كل تضاءل فهمه * وكيف ينال الشمس من هو عن بعد
10 رياض بساتين المعارف بهجت * بزهر جمال من شريعة أحمد
11 كذاك بحار الجبروت تدفقت * بأنواره في كل غيب ومشهد
12 ولا شيء من كون تجل بظاهر * ولا باطن إلا ونيط بأحمد
13 توسط في الأشياء نور بهائه * فلولا وساطة النبي محمد
14 لكان على الأصل الموسوط من الخفا * ولم ير في الكونين نور محمد
15 عليه من الله العظيم صلاته * تليق بقدره الرفيع الممجد
16 توصلها أيدي الكرامة والحِبا * ينال بها رفعا يجل عن الحد
17 تكون به أهلا كما هو أهله * فأعظم به قدرا من العز والمجد
18 فلا سر إلا من معادن سره * ولا علم إلا من بحار محمد
19 لقد جمع الأسرار سر كماله * وكل البها والحسن في ذات أحمد
20 فقد نبع الأسرار من بحر سره * ودل على السر العظيم الموحد
21 أتي بكتاب لا تحاط علومه * عجائبه تربو عن الحصر والعد
22 تحاكي معانيه بحارا زواخرا * وتزهو على الدر اليواقيت في العقد
23 لقد خصنا الإله معشر أمة * بأشرف عز من كرامة أحمد
24 رسولا كريما هينا متبجلا * حميدا عظيما في السيادة والمجد
25 حبيبا مشفعا وزيرا مقربا * يوصل حضرة الشهود إلى العبد

26 حجابا عظيما واقفا متأدبا * يرد عن الإلحاد والزيغ والبعد
27 فيا رب بالهادي الشفيع محمد * لحوقا بنسبة الحبيب محمد
28 بتحقيق حسبه الذي هو عنصر * لكل كمال بالمفاخر مسند
29 وعرفني إياه بمعرفة غدت * تسلمني ورد الجهالة والبعد
30 ونكرع منها من موارد فضلكم * ونروى من التسنيم أعظم مورد
31 على نهجه احملي لحضرتك التي * إليها يأوي أولو البصائر والأيد
32 فحُفّ بذاك الحمل نصرتك التي * تخص بها أهل العناية والود
33 على الباطل اقذف بي فندمغ كل ما * يزاد على الفرد العلي من الضد
34 وفي أبحر من الحقائق زج بي * حقائق أهل الذوق والسر والوجد
35 ومن أوحال التوحيد فانشلي إنها * عقائد أهل الزيغ والجهل والبعد
36 وفي عين بحر الذات أغرقي إنه * محل شهود الحق في كل مشهد
37 إلى أن يصير الكل مني فانيا * في كل معاني الذات من شدة الوجد
38 فحينئذ نرى ونسمع واجدا * به يقع الإحساس في غيبة العبد
39 حياتي فاجعل في شهود وساطة * لنور حجابك العظيم الممجد
40 ونور إله سري حقيقة مشهدا * حقيقته العليا مواضع مقصد
41 بتحقيق حق أول متأصل * قديم بلا شكل هناك ولا حد
42 هو الأول والآخر مع ظاهر * وباطن كل شيء في وحدة الفرد
43 فيا أول اجعلني في أول سابق * إلى حضرة القدوس في خير مقعد
44 ويا آخر اختم لي بخير سعادة * تضم إلى روح الوصال المؤبد
45 ويا ظاهر حسن ظواهري التي * بتهذيبها يسري المدد إلى العبد
46 ويا باطن زين بتحقيق نعمة الـ * ـشهود بواطني بجمع مؤبد
47 ندائي فاسمع يا سميع لمن دعا * سماع أبي يحيى الحصور الممجد
48 وبالنصر منك يا نصير تحفني * وأيد أموري بالهداية والرشد

49 وفي حضرة التقديس تجمع بيننا * وبين شهود للجمال المؤبد
40 وحل بيننا وبين غيرك إنه * حجاب من الوهم المبعد للعبد
41 أإلهه بالتكرار أذكر داعيا * بحرف نداء للقريب الموحد
42 ثلاثا ترقي الروح في كل مرة * إلى أن تخوض الجبروت في مشهد
43 فمن فرض القرآن أخبر أنه * يردك يا روحي لجمع مؤبد
40 فيا رب آت من لدنك برحمة * تعم الأنام في مغيب ومشهد
41 وهيئ لنا رشدا عظيما من أمرنا * يكون سبيل الوصل للعلي الفرد
42 وصل وسلم دائما متواصلا * على نخبة الأكوان سر محمد
43 مع الرضى عن كل الصحابة جملة * ومن هو بالنور المحمدي مقتد

انتهت.

ومن ذلك أزجال في الحضرة النبوية تذكر في حضرة الرقص وهي هذه:

1 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ
2 بسم الكريم نِبْدَا النظامْ * نمدح رسول الله
3 من بحره تسقى الرجالْ * فهْو باب مولاه
4 يا من حضر صلوا عليه * أيا رجال الله
5 يوم الزحام يكون شفيع * إذ هو حبيب الله

*****

6 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ
7 أمن بغى يُوصلْ قريب * يمدح رسول الله
8 هو الشفيع لمن يريد * دخول حضرة الله
9 هو الطبيب لذي السقام * ربي حبوا واعطاه

*****

10 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ

11 بـــه أســـرى الـــرب الجلـــيل * إلـــى نـــور وابهـــاه
12 جبـــريل معـــه علـــى البـــراق * اركـــب رســـول الله
13 بـــه خـــرق ســـبعا طـــباق * إلـــى ســـرّه واســـناه

*****

14 أنـــا فنـــيتْ فـــي ذا الحبـــيب * ســـيدي رســـول اللهْ
15 مـــا زال يـــرقيه فـــي المعالـــي * فـــي حـــين حـــب وادنـــاه
16 فـــثم خـــص بـــالكلام * فلـــم يـــشهد ســـواه
17 ســـر الحبـــيب مـــع الحبـــيب * حبـــيب عظـــيم الجـــاه

*****

18 أنـــا فنـــيتْ فـــي ذا الحبـــيب * ســـيدي رســـول اللهْ
19 الجـــنة بـــه تفتخـــر * مـــن حـــسن نـــوره وابهـــاه
20 إذ حـــين مـــن بالوصـــال * لهـــا حـــين مـــسراه
21 فمـــن حـــبه ذو الجـــلال * فكـــل شـــيء يهـــواه

*****

22 أنـــا فنـــيتْ فـــي ذا الحبـــيب * ســـيدي رســـول اللهْ
23 هـــذا الحـــديث عـــندي صـــحيح * حـــازوه رجـــال الله
25 مـــن يقـــصدهم حاشـــا يخـــيب * يـــضحى حبـــيب الله
26 إلـــي يـــصحب أهـــل الكمـــال * ربـــي حـــب وادنـــاه

*****

27 أنـــا فنـــيتْ فـــي ذا الحبـــيب * ســـيدي رســـول اللهْ
28 فـــي كـــل حـــين تظهـــر رجـــال * حـــديث رســـول الله
29 الـــيّ يطعـــن فـــيهم شـــقي * ربـــي طمـــس وأعمـــاه
30 بهـــم تـــزول عـــنا الـــنقم * بهـــم نـــنال رضـــاه

31 بهم ينال حب الحبيب * بهم يعرف سناه

*****

32 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ

33 أمن بغى يربح يجي * نريه طريق الله

34 في حين قليل يصير قريب * من نور حضرة الله

35 ربي وعدنا بالعطا * من فيض رجال الله

36 من يصحبنا حتما ينال * حظا من حب الله

*****

37 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ

38 هذا الكلام سر عجيب * يعجب زهر رُباه

39 أحمد نطق بذا الكلام * يشكر نعم الله

40 من لا يتحدث بنعم * تزول عنه تناساه

*****

41 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ

42 شيخي محمد بن أحمد * ربي منحو وأعطاه

43 يسقي من فيض ذي الجلال * خمر القديم سقاه

44 شيخي الذي يسقي الأنام * من ينظره أغناه

45 مولاي العربي بن أحمد * حفيد رسول الله

*****

46 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ

47 مولاي علي بحر عميق * سيدي ابن عبد الله

48 من ماء الجيلاني قد شرب * والشاذلي أرواه

49 بحران جمعت ذي الطريق * يا سعد يا بشراه

50 من يردها ظمآن ينال * أعلى ما يتمناه

*****

51 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ
52 إمامنا في ذي الطريق * سيدي رسول الله
53 سلسلتنا به تصل * فيها رجال الله
54 الشاذلي بحر عظيم * أشياخنا مجراه
55 اللوح المحفوظ خصهم * فهم صفوة الله
56 القطب منهم لا يزول * الشاذلي مناه
57 مجذوبها قطعا يصير * سالك عارف بالله

*****

58 أنا فنيتْ في ذا الحبيب * سيدي رسول اللهْ
59 طريقنا قالوا تدوم * بضمان رجال الله
60 سيدي المجذوب بذا انطق * كذا ابن عبد الله
61 شيخ التربية لا يزول * قطعا إن شاء الله
62 وجوده قطعا يدوم * فضلا من عند الله
63 المرسي به قد أفصح * ننسخ له معناه
64 وفي الحديث نص صريح * لمن يعقل مبناه
65 أمتي كالغيث الهطيل * أخيره أولياه
66 من ينكر هذا قد يضل * يخطي طريق مولاه
67 باب الرحمة قد غلق * عنه في عباد الله
68 هذا نصحي لكم سديد * ذوقا بحمد الله
69 يا رب صل بالتمام * على رسول الله
70 والآل والصحب الجميع * وكل أحباب الله

قصيدة أخرى مثلها في الخمرة الأزلية وهي هذه:

1 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـــــبحانه ســـــــبحان
2 مـــن يعطـــي بـــلا ســـؤال * ويـــــــبدأ بالإحـــــــسان
3 مـــن جـــوده عـــم الوجـــود * ووصـــــــفه المـــــــنان
4 مـــن حـــسنه يـــسبي العقـــول * ويـــــــذهل الأذهـــــــان

*****

5 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـــــبحانه ســـــــبحان
6 مـــن بـــره عـــم الأنـــام * وملكـــــــه ســـــــلطان
7 مـــن نـــوره أصـــل الأصـــول * وشمـــــــسه عـــــــيان
8 مـــن ســـره فـــوق العقـــول * ووصـــــــله عـــــــرفان
9 مـــن أمـــره حـــتما يكـــون * ودفعـــــــه خـــــــذلان

*****

10 أنـــا فانـــى فـــي ذي الجـــلال * ســـــــبحانه ســـــــبحان
11 فمـــن شـــأنه عظـــيم كبيـــر * وملكـــــــه ذو شـــــــان
12 مـــن حكمـــه نافـــذ يـــصول * ويمـــــضي فـــي الأكـــوان
13 مـــن خافـــه يـــرجو الحـــبا * مـــن بحـــره الفيـــضان
14 مـــن يطلـــبه حقـــا يـــنال * مـــن فـــضله الإحـــسان

*****

15 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـــــبحانه ســـــــبحان
16 يـــامن يـــريد نـــيل المنـــى * ويحظـــــــى بالعـــــــرفان
17 يطلـــب لـــه شـــيخا طبـــيب * ذي الـــــــذوق والـــــــوجدان
18 يـــسلك بـــه ســـير الطـــريق * ويطهـــــــر الجـــــــنان

19 فيفنـــى فـــي ذات الجلـــيل * ويهـــــنأ بالإحـــــسان

*****

20 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـــبحانه ســـــبحان

21 فيـــنطوي عـــنه الوجـــود * وتوســـــع المـــــيدان

22 وتـــشرق عـــنده الـــشموس * ويبـــــصر العـــــيان

23 وتـــسكن عـــنده القلـــوب * وتـــــرتاح الأركـــــان

24 ويغـــرق فـــي بحـــر الـــشهود * وتنمحـــــي الأكـــــوان

*****

25 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـــبحانه ســـــبحان

26 يـــا مـــن يـــريد ســـكرا مـــدام * نـــــبع لـــــه بـــــثمان

27 الـــــذل للخمـــــار يـــــدوم * يبـــــين بـــــيْن الأقـــــران

28 وجـــنس مـــع فلـــس يـــزول * فلـــــم يـــــزل ســـــكران

29 الحـــــب عـــــنه لا يـــــزول * ويحظـــــى بالعـــــيان

*****

30 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـــبحانه ســـــبحان

31 خمـــــرتنا خمـــــرة القـــــديم * وســـــاقيها المـــــنان

32 يـــــسقيها صـــــافي زُلال * لمـــــن يأتـــــي ظمـــــآن

33 إولّـــي يـــشرب نقطـــة يهـــيم * وقلـــــبه نـــــشوان

34 يفنـــى فـــي حـــبه للحبـــيب * فـــيا لـــه مـــن شـــان

*****

35 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـــبحانه ســـــبحان

36 الـــسكر مـــن طـــبع الكـــرام * وســـــكناهم الخـــــان

37 الـــصحو عـــندهم قلـــيل * وســـــرهم هـــــيمان

38 من يصحبهم حتما يغيب * يسقوه كيسان
39 يفنى ويبقى بالحبيب * يدوم له ذا الشان

*****

40 أنا فاني في ذي الجلال * سبحانه سبحان
41 حب الحبيب حتما يجب * فرض على العيان
42 يا من يلومني في الهوى * عذري له برهان
43 الحب يهتك العراض * ويزري بالإنسان
44 من لا يفنى في الحبيب * فما له وجدان

*****

45 أنا فاني في ذي الجلال * سبحانه سبحان
46 الذل للحبيب حلو * والعز منه بان
47 من لا يذل للحبيب * فوصفه الحرمان
48 الفقر شيمة الوصال * وسره الوجدان
49 من لا يستغني بالحبيب * ففقره قد بان

*****

50 أنا فان في ذي الجلال * سبحانه سبحان
51 من لا يذوق سر الوصال * فعيشه خسران
52 يتعزى قبل أن يموت * ويبعث ندمان
53 الجهل به قد أحاط * وسجنه الأكوان
54 الروح منه لا يجول * وقلبه حيران

*****

55 أنا فان في ذي الجلال * سبحانه سبحان
56 معنى الحبيب سر عجيب * تطيش لها الأذهان

57 فمـــن يـــذقها بالـــصفا * يكـــون عظـــيم الـــشان
58 الحـــس مـــنه لا يـــرى * ويـــدخل المـــيدان
59 الفكـــر فـــي الفـــضا يجـــول * وبحـــره فيـــضان

*****

60 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـبحانه ســـبحان
61 بحـــر المعانـــي قـــد ســـبا * عقلـــي بـــه ولهـــان
62 الـــروح فـــي بحـــر عظـــيم * تغـــيب عـــن الأكـــوان
63 بحـــر المعانـــي قـــد ســـقا * قلبـــي بـــه ريـــان
64 ألقانـــي فـــي بحـــر عظـــيم * أمـــواجه معـــان

*****

65 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـبحانه ســـبحان
66 بحـــر المعانـــي قـــد أحـــاط * بـــنا مـــن كـــل مكـــان
67 الكـــون فـــيه كالـــسراب * يغـــيب عـــن العـــيان
68 مـــن لا يعـــوم فـــي ذي الـــبحار * يمـــوت وهـــو عطـــشان
69 مـــن يـــشرب مـــن بحـــر الحبـــيب * فقلـــبه ريـــان

*****

70 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـبحانه ســـبحان
71 مـــن لا يـــشاهد الحبـــيب * فغبـــنه قـــد بـــان
72 مـــن لا يـــؤنس بالحبـــيب * فأنـــسه الـــشيطان
73 مـــن لا يلهـــه ذكـــر الحبـــيب * فقلـــبه غفـــلان
74 ذكـــر الحبـــيب بـــاب قـــريب * لحـــضرة العـــيان

*****

75 أنـــا فانـــي فـــي ذي الجـــلال * ســـبحانه ســـبحان

76 حب الرسول باب الدخول * لحضرة الإحسان
77 من يقتفي الرسول يصير * حبيب إلى الرحمان
78 نص الكتاب بذا صريح * في سورة العمران

*****

79 أنا فاني في ذي الجلال * سبحانه سبحان
80 يا رب صل بالتمام * على عظيم الشان
81 محمد الهادي الكريم * ما تنطوي الأزمان
82 والآل ذي الطهر العظيم * وصحبه الأعيان

*****

83 أنا فاني في ذي الجلال * سبحانه سبحان
84 هذا نظامي قد كمل * يتيه على الجمان
85 فابن عجيبا قد عقد * سليكها الحسان
86 من يسمعها صدقا يحن * لخمرة العيان
87 ويفنى في حب الحبيب * ويحظى بالعرفان

انتهت.

ومن ذلك قصيدة أخرى تستعمل في حضرة الرقص أيضا ذيلت بها قول بعض المشارقة:

أمن لا ذاق، سكر خمر المحبا، ولا ربى، بالذوق ولا تربا، ولا نادى، ساقي ولا قط لبا، ولا شاهد، ولو بدأت الشواهد الشواهد، أوقف دائم مملوك، في بيان الملوك، اطلب تنف الشكوك، ترقق الوداد، لمن عرف مولاه، المدد المدد، أيا رسول الله، أعْرف تُعرف، بمعرفة الموالي، وتواضع، ولو تكون في المعالي، عسى تبلغ، ما بلغت الرجال، ويتحقق بحقيقك كل جاحد كل جاحد، .سلك هاذي الطريق، يسطع نورك شريق، وبالله التوفيق، ترقق الوداد، لمن عرف مولاه، المدد المدد، أيا رسول الله، أمحمد، سارت بك النياق، امحمد، ركبت ظهر البراق،

أمحمد، أخرقت سبعا طباق، شاهدت الرب بالعيون ثم العيون، أنطق لك الحجر واسجد لك الشجر، وانشق لك القمر، أيا رسول الله، المدد المدد، أيا رسول الله. انتهى.

فقلت في تذييلها:

أمن لا جال، في سر المعاني، ولا رقي روحه لخالق الأواني، ولا فنا، بالحال ولا صار هاني، ولا شاهد سر الحقائق الحقائق. إخضع دائم ذليل، تكن عزيز جليل، في أمد قليل، تفتح لك الأبواب.

*****

فيمن شهد مولاه، المدد المدد، أيا رسول الله، أمن يريد، سكر بخمر المعاني، يكن مريد، بالصدق والقلب داني، والحب يزيد، في الشيخ طول الزمان، يتحقق بحقائق كل موجود كل موجود، تصفو لك الغزول، يحصل لك الوصول.

*****

تبلغ كل مأمول، والملك تستولاه، المدد المدد، أيا رسول الله، أمحمد طارت لك القلوب، أمحمد أظهرت علم الغيوب، أمحمد ذكرك يفرج الكروب أظهرت النور للعيان ثم العيان للعيان، أسرى بك الرحمن، وافتح لك الجنان.

*****

وأظهر بك الإيمان، أيا رسول الله، المدد المدد، أيا رسول الله، أمحمد عزت بك المراتب، أمحمد دانت لك المذاهب، أمحمد خصت بك المناقب، قربت العباد للشهود ثم الشهود للشهود، أشرق شمس العرفان، وأظهر بك الاحسان.

*****

واطّهر بك الجنان، أيا رسول الله، المدد المدد، أيا رسول الله، أمحمد نارت بك العوالم، أمحمد بانت بك المعالم، أمحمد حارت فيك المفاهم، اسْبقت الوجود للوجود ثم الوجود للوجود، انشقت بك الأسرار، وانفلقت بك الأنوار.

*****

وأسجد لك الأقمار، أيا رسول الله، المدد المدد، أيا رسول الله، أمحمد حقت بك الحقائق، أمحمد لاذت بك الخلائق، أمحمد أظهرت علم الطرائق، أظهرت الدين للعباد ثم العباد، أرفع بك الشكوك، وأخضع لك الملوك.

*****

وأظهر بك السلوك، لمن يريد مولاه، المدد المدد، أيا رسول الله، أمحمد نارت بك السرائر، أمحمد زانت بك الضمائر، أمحمد فتحت بك البصائر، عرفت الحق للعباد ثم العباد للعباد، أظهر بك الوجود وأرفع بك الجحود، وبان بك الشهود، لمن عرف مولاه، المدد المدد، أيا رسول الله. انتهت.

ومن ذلك قصيدة أخرى ذيلت بها قول الششتري:

بدأت بذكر الحبيب، وهمت وعيشي يطيب، وبحت بسر عجيب، لما دار الكاس، ما بين الجلاس، وأحياتهم الأنفاس.

*****

عنهم زال الباس، سقاهم بكاس الرضا، عفا الله عما مضى.

اشرب يا نديمي وطيب، وعش في أمان الحبيب، قل فزت بسر عجيب.

قم خل الكاسات، واشرب بالطاسات، واغتنم لذات، في مقام السادات. بريق الحميا قد أضاء، عفا الله عما مضى.

*****

يا ساقي ترفق بنا، المولى غفر ذنبنا، وأسقانا مدام، وانعم بالسلام، وأعطانا مدام، عن سادات كرام، وأوسع لنا الفضا، عفا الله عما مضى.

*****

فقلت في تذييلها:

أفل في جوار الحبيب، وته في أمان القريب، قد فزت بأمر عجيب، يفوح بمسك وطيب، ثم خل الأكوان، يكن لك الشان، وجل بالعيان، في مقام الإحسان،

تحقق مقام الرضى.

*****

عفا الله عما مضى، تنزه في روض الجمال، وغص لي في بحر الكمال، تفوز بحسن الوصال، بعلم وسر وحال، اشرب يا نديم، من خمر قديم، وقلبك يهيم، بسكر مقيم.

*****

فنور الفنا قد أضاء، عفا الله عما مضى، اسكن في مقام الفنا، وعش في أمان الهنا، قد فزت بسر الغنى، وحزت من كل المنى، ارقص يا نشوان، من خمر العيان، وعش في الضمان.

*****

وظل الأمان، فنور البقا قد أضا، عفا الله عما مضى، يا حبي لا تنس الوداد، قد فزت بحسن الرشاد، وصرت من خير العباد، بصدق الوفا والسداد، اطرب يا سعيد، من خير عتيد، وعش رغيد، في عمر مديد، ففجر الهنا قد أضا.

*****

عفا الله عما مضى، تذلل لعز الحبيب، تفوز بوصل قريب، وتكسى بعز عجيب، يدوم في نسل حسيب، اخضع يا نديم، لرب عظيم، تشهد القديم، بقلب سليم.

*****

فنور البها قد أضا، عفا الله عما مضى، سكرت بخمر قديم، وصرت لحبي نديم، ففزت بسر عظيم، يليق برب كريم، افرح يا نديم، برب عظيم، واشهد القديم.

*****

وصف كريم، فسيف الحبا قد قضى، عفا الله عما مضى، تعلق برؤيا الحبيب، وشاهد جمال القريب، تُمد بفيض عجيب، من بحر معاني الحبيب، تفنى يا

خليل، في ذات الجليل، في حين قليل، تحظى بالجميل، فنور الوصال قد أضا.

*****

عفا الله عما مضى، يا قلبي تخلى وجُل، قد فزت بسر الوصول، وصرت بحبك تصول، الكون من فكرك يحول، اسقنا زلال، من أيدي الرجال، وانعم بالوصال، بالذوق والحال.

*****

فسكر الفناء انقضى، عفا الله عما مضى، تمسك بحب الرسول، فإنه باب الوصول، ونوره أصل الأصول، وسره بحر يجول، تحظى بالوصال، لعين الكمال، وتسقى زلال، من فيض الجمال، ففجر الكمال قد أضاء، عفا الله عما مضى. انتهت.

ومن ذلك قصيدة في سلب الإرادة مع الحق وترك التدبير على ألسنة هواتف الحق، وهي هذه:

1 يا عبدي كن مستصغيا لقولي * وألق سمعك بلا بعاد
2 مرادي منك نسيان المراد * بصدق الحب منك والوداد
3 مرادي منك رفض ما سوانا * بقصد سيرك إلى الرشاد
4 مرادي منك الترك للحظوظ * وما يفضي بك إلى البعاد
5 مرادي منك نسيان اللحوظ * لغير حُبّنا بلا مراد
6 مرادي منك الرفض للتدبير * والاختيار محوا للمراد
7 فكل ما تبني من الأماني * تهدمه الأقدار باستبداد
8 أتبني ما ليس له تمام * وتشغل العمر بوهم باد
9 أتترك الراحة في التسليم * وتتعب الجنان بالعناد
10 فأنت محمول بكل حال * فلا تكن حاملا باستبعاد
11 رعايتي حفتك في القديم * وها أنا نحن على الوداد
12 تدبيري سابق لكل كون * فلا تنازعنّي في مرادي
13 أنا الذي خصصت بالتصوير * والخلق والتدبير للعباد

14 فهل عودتك إلا جمالا * وحسن حفظ مني للوداد
15 مرادي رفع قدر الدّني * إن سلمته الأمر إلى مرادي
16 فلا تضع قدرك بعد الرفع * بخوض وهمك في كل واد
17 سلب الإرادة معي جميل * وغاية الكمال والرشاد
18 أرح فؤادك من التدبير * فالعجز عن نفسك أمر باد
19 أنا القيوم بالأمور طرا * فليس شيء يخرج عن مرادي
20 أنا الجبار أجبر كل كسر * أنا القهار من فوق العباد
21 أنا الحكيم في أمري وصنعي * أنا الحليم أعطف بالوداد
22 فكل ما يظهر من أحكامي * في غاية الحسن وفي السداد
23 فلا تنازعي عبدي فإني * أعلم بالأمور منك وحدي
24 عواقب الأمور لا تدريها * ولا تدري الخير من الفساد
25 فعسى أن تكره خيرا يأتي * وعسى أن تحب ما يعادي
26 فسلم الأمر لحكمي وارض * بكل ما يبدو من المراد
27 تفوز بالروح وبالريحان * وجنة العرفان بالتناد
28 يا عبدي لو فهمت كل الفهم * عني لما أبرت في مراد
29 يا عبدي لو قنعت بالتدبير * مني لكنت من خير العباد
30 تأتي لك الأماني طوع الأيدي * وتسلك المنهاج ذا رشاد
31 يا عبدي لو أذنت في التدبير * لكنت تستحي من العناد
32 لكني قد نهيت أهل الفهم * عن كدر التدبير والإبعاد
33 يا عبدي لو سلمت لي قضائي * وحكمي في كوني بلا عناد
34 فأنت من كوني ومن عبادي * فسلم نفسك بلا مراد
35 يا عبدي إن تثق بنا كفيلا * أكفيك كل ضيم أو فساد
36 يا عبدي إذ تتخذني وكيلا * أعطيك كل المنى بالوداد

37 يـا عـبدي قـم بخدمتـي فإنـي * أقـوم بالقسمة والـرفاد
38 أنـا الـذي أرزق مـن عـصاني * فكـيف أهـل الحـب والـوداد
39 منـي كـان الإيجـاد للعـباد * فكـيف لا أقـوم بالإمـداد
40 هـل غـارس الأشـجار للإثمـار * يهمـل غرسـه بـلا إمـداد
41 أنـا الـذي هـيأت للعـباد * خيـري ومنتـي بـلا نفـاد
42 أنـا الـذي ضـمنت للعـباد رزقـي * وأقـسمت بأمـر بـاد
43 فـإن تحملهـم بأمـر رزقـي * كـنت بعـين الطـرد والإبعـاد
44 مـن دبـر الـنطفة فـي الأحـشاء * وأجـرى رزقـه بـلا نفـاد
45 وأسـبغ الإحـسان فـي القـديم * فكـيف يهملـك مـن إرفـاد
46 يـا عـبدي لا تطالبـي برزقـي * فرزقـي واصـل بـلا تـناد
47 فإنـي لا أنـساك مـن إحـساني * ولـو نـسيت عهـدي بابـتعاد
48 فبـي ثـق فـي ضـماني * فإنـي ذو بـر وذو وداد
49 فمـا قدرتنـي حـق قـدري * إن لـم تـثق بـضماني ووعـدي
50 يـا عـبدي لـو فنـيت عـن سـوانا * لكـنت بالـشهود ذا اسـتبداد
51 يـا عـبدي لـو فنـيت عـن وجـودك * لكـنت بالوصـال ذا اعـتماد
52 فأنـت نقطـة لغـين الغـين * فالعـين صـد إن كـنت ذا رشـاد
53 محـو الـسوى فـرض علـى الكمـال * وغايـة الكمـال للعـباد
54 وصـل علـى النبـي فـي كـل حـين * صـلاة ذوي المحـبة والـوداد

وقلت تحريرا لقول الحكم: تحقق بوصفك يمدك بوصفه:

1 تحقـق بوصـف الفقـر فـي كـل لحظـة * فمـا أسـرع الغنـى إذا صـحح الفقـر
2 وإن تـردن بـسط المـواهب عـاجلا * ففـي الفاقـة ريـح المـواهب ينـشر
3 وإن تـردن عـزا منـيعا مـؤبدا * ففـي الـذل يخفـى العـز بـل ثـم يظهـر
4 وإن تـردن رفعـا لقـدرك عاليـا * ففـي وضـعك الـنفس الدنـية يحـضر

5 وإن أردت العرفان فافن عن الورى * وعن كل مطلوب سوى الحق تظفر
6 ترى الحق في الأشياء حين تلطفت * ففي كل موجود حبيبي ظاهر

انتهى

وقلت في علامات الغنى بالله تحريرا لما ذكره شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه حيث قال:

« علامة الفقير المستغني بالله أربعة: ترك الدنيا للخلق إلا ما فضل عنهم بعد الاضطرار. وترك الآخرة حتى لا يكون له فيها حق إلا النظر لوجهه الكريم. وترك نفسه لله تعالى حتى لا يكون له فيها حق إلا حق مولاه. ولا إرادة إلا ما أراد مولاه. ويكون كالغصن الرطب أين ما مالت الريح يلين ويميل معها. ولا ينكر على الخلق حالا من أحوالهم. هـ.

فقلت في نظمها:

1 يا مدعي الغنى برب الخلق * خذ ميزانا تعرف عين الحق
2 الرفض للدنيا بكل حال * إلا الذي يسهل من حلال
3 من بعد الحاجات والاضطرار * فإن أتت قبل فذو إيثار
4 والزهد في الأخرى لحظ النفس * إلا النظر في وجه عين القدس
5 والترك للنفس بلا تدبير * ولا اعتراض منه للقدير
6 بل حاله كغصن رطب البان * يميل بالريح فوقا أو حاني
7 وتعظيم الأشياء بالإقرار * إذ كلهم من نور سر الباري
8 فهذه علامة الغناء * مع اعتدال الأمر في الأشياء

انتهى.

وقلت تحريرا لقول الشاذلي رضي الله عنه: إذا أكرم الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه، فجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة، مع جري ما قدر له ولا يلتفت إليها كأنه بمعزل عنها. وإذا أهان الله عبدا في حركاته وسكناته، نصب له حظوظ نفسه وستر عنه عبوديته، فهو

يتقلب في شهواته وعبودية الله بمعزل، وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر.

قال وهذا باب من الولاية والإهانة. وأما الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوي البصيرة لأنه بالله فيما يأخذ ويترك. هـ.

فقلت في نظم هذه القاعدة:

1 إذا صحبت عبدا عناية ربه * تخلص من رق الحظوظ مدى الدهر
2 فتنهضه الأقدار في طاعة المولى* وكل الحظوظ قد نبذت ورا الظهر
3 ويأتيه بالتوفير ما هو حظه * مع الهمة العليا على العبد والحر
4 وإن لم تكن للعبد سبق عناية * تملكه أيدي الحظوظ على القهر
5 فتزعجه الأقدار في حظ نفسه * ولو كان طاعة على حسب الجهر
6 وليس ينال منها فوق التي له * ولو كان أحرص الأنام على الوفر
7 ولا يمكن الخلوص من رق نفسه * إلا باصطحاب الشيخ ذي الحال السر
8 يملكه زمام أمره كله * فتنخنس النفس الدنية بالحصر
9 فتستوي عنده الحظوظ بلا عين * مع الحقوق العليا بغيب عن الغير
10 لأنه في الأفعال بالله غائبا * عن النفس والهوى فيا له من سر

وذيلت قول الحلاج رضي الله عنه:

1 قلوب العارفين لها عيون * ترى ما لا يرى للناظرينا
2 وأجنحة تطير بغير ريش * إلى ملكوت رب العالمينا
3 وألسنة بأسرار تناجي * تغيب عن الكرام الكاتبينا

فقلت:

1 وأفئدة تهيم بعشق وجْد * إلى جبروت ذي حق يقينا
2 فإن أردت درك ذي المعاني * فبذل روحك قليل فينا

وذيلت قول بعض الشعراء:

1 فلا دهش وحامي الحي حي * ولا عطش وساقي القوم باقي

2 فمـــا الدنـــيا بباقـــية لحـــي * ومـــا حـــي علـــى الدنـــيا بباقـــي

فقلت:

1 فـــلا ترضـــى بغيـــر الله حـــبا * وكـــن أبـــدا ذا عـــشق واشـــتياق

2 تـــرى الأمـــر المغـــيب ذا عـــيان * وتحظـــى بالوصـــال وبالـــتلاق

وقلت أيضا في أركان الولاية وموادها:

1 يـــا مـــن يـــرد مـــراتب الـــرجال * فليـــرب المعنـــى بكـــل حـــال

2 بـــصحبة الفحـــول أهـــل الفـــن * أو فكـــرة تـــذيب كـــل كـــون

3 أو اســـتعمال الذكـــر بالجـــنان * فهـــذه زوائـــد المعانـــي

4 وليهجـــر الحـــس بكـــل حـــال * بالفكـــر والفعـــل والمقـــال

5 فـــإن أتـــى بهـــذه الخـــصال * حـــاز مـــن العـــرفان أمـــرا عـــال

وقلت أيضا في شأن المراقبة:

1 تحققـت بعلـم الله فـي كـل وجهـة * ففـى كـل لحظـة علـيك رقـيب

2 وإيـاك أن تنـسى الـشهود لـشاهد * عظـيم بـسر الـسر مـنك قـريب

3 لطـــيف خبيـــر قـــادر مـــتودد * رؤوف رحـــيم للمطـــيع حبـــيب

وجمعت كلاما يقال في أثناء الهيللة وهو هذا:

1 خمـــــرتنا صـــــافي زلال * تحيـــــي مـــــن يـــــسقاها

2 إلـــــي شـــــرب مـــــنها وزاد * عمـــــره مـــــا ينـــــساها

3 خمـــــرتنا خمـــــر الـــــرجال * تغنـــــي مـــــن يحـــــساها

4 إلِّـــي شـــرب مـــنها ســـكر * تغنـــــــي بغـــــــناها

5 هـــاذي الـــنفس إذا طغـــت * مـــا تـــبلغ مـــناها

6 لكـــن بالـــشيخ الطبـــيب * توصـــل لمـــولاها

7 هـــذي الـــروح إذا صـــفت * فـــي الحـــضرا ســـكناها

8 ألفـــنا بـــه الوصـــول * والأنـــوار تغـــشاها

9 هـــذي الـــروح إذا فـــنت * وانتهـــى مـــسراها
10 الـــبقا بـــه الكمـــال * والأمـــان أعطاهـــا
11 مـــن لا دخـــل يـــد الـــرجال * لـــيس لـــه مـــن وصـــال
12 الـــشيطان بـــه وصـــل * نفـــس مـــا يـــرعاها
13 قالـــوا ســـادتنا الـــرجال * أهـــل الفـــضل والكمـــال
14 مـــن لا شـــيخ عـــنده ضـــال * نفـــس مـــع هـــواها
15 مـــن لا عـــنده شـــيخ تـــاه * والـــشيطان شـــيخ لـــه
16 والهـــوى غـــلاب علـــيه * نفـــس مـــا ينـــساها
17 يـــا مغـــرور لا تـــنخدع * الدنـــيا غـــرارا
18 ارحـــل للمولـــى الكـــريم * لآخـــرة لا تنـــساها
19 الجـــنة دار النعـــيم * والفـــردوس أعلاهـــا
20 ســـاكنها النبـــي الكـــريم * لأهـــل القـــرب أعطاهـــا
21 مـــن لا صـــحب أهـــل الوصـــول * مـــا يطمـــع ســـكناها
22 بالـــصحبة للفحـــول * ترتقـــي لأعلاهـــا

انتهى.

وقلت في بعض الحكم:

لولا الوقوف مع ظلمة الأكوان، لأشرقت على القلب شموس العيان، لولا العلائق والعوائق، لأشرقت شموس الحقائق، لولا التدبير والاختيار، لزال عن القلب ظلمة الأغيار، لولا الشهوات والحظوظ، تصرفت الهمم بأسرع من اللحوظ، لولا المساوي والعيوب، لظهرت أسرار الغيوب، لولا مجاهدة النفوس، ما ظهر سر الخصوص، لولا صحبة الرجال، ما عرف النقص من الكمال، لولا صحبة الأكابر، ما طهرت القلوب والسرائر، لولا خدمة الرجال، ما أدركت مراتب الكمال. انتهى.

وكتبت لبعض المشارقة:

بعد الحمد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى من يقف عليه من الأحباب، الطالبين الوصول إلى حضرة رب الأرباب، السلام عليكم والبركة والعافية.

أما بعد: فاعلموا رحمكم الله، أن طريق الوصول إلى الله تعالى طريق الجد والتشمير لا طريق البطالة والتقصير، طريقة موت النفوس وحط الرؤوس وبذل الفلوس. طريقة قريحة واعتنا، واستهلاك وفنا، لا تجد صاحبها إلا ذاكرا أو متفكرا أو تاليا أو مصليا أو مذكرا أو مستمعا. أوقاته معمورة محفوظة، وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة. إن تكلم فبذكر الله، وان صمت فعن الغيبة في الله، يجول في عظمة الله أو فيما يقربه إلى الله وان تحرك فبالله وإلى الله، وإن سكن فمع الله مستأنسا بالله مشتغلا بربه غائبا عن نفسه ليس له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار. أنسه بالله، ومجالسته مع الله. التقوى زاده، والقناعة رفاده، ومن بحر العرفان استعداده. قد استغنى بالله عما سواه ورفض وراء ظهره دنياه وهواه. قد اتخذ الله صاحبا، وترك الأمر جانبا. فإذا كان هكذا فالولاية طوع يده وإلا فإدراكه على قدر جده وكده. ومن رام الوصول بغير هذا فهو مغرور، ولا بد للفقير في بدايته من عزلة ينفرد فيها عن الخلق ليتأنس قلبه بالملك الحق، فإذا تمكن من الأُنس بالله وأشرقت عليه شموس المعارف واتسعت معرفته فلا بأس أن يخالط الناس بجسمه ويفارقهم بقلبه، جسمه مع الخلق. وقلبه مع الحق، جسمه مع الخلق يسعى، وروحه في أنوار الملكوت ترعى. وهذه عزلة العارفين تكون بقلوبهم لا بأجسامهم. ولا بد من صحبة شيخ عارف قد أهله الله للتربية النبوية يصحبه ويخدمه حتى يمكنه من الحضرة القدسية وهو موجود في كل زمان ومن قال خلاف هذا فغايته الخيبة والخذلان. ولا بد للمريد أن يجعل وقتا يجتمع فيه مع الإخوان وينحك معهم للذكر والمذاكرة فإن لم يجدهم في بلده فليرحل إليهم أو يكثر التردد إليهم حتى يعرف شور الطريق وينهل مناهل التحقيق فحينئذ يستغني بالله عن كل ما سواه والسلام.

وكتبت رسالة أخرى لفقراء بني حسان ونصها:

بعد الحمد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كافة فقراء بني حسان السلام عليكم والرحمة والبركة والعافية.

أما بعد: قوى الله مددكم وكثر عددكم فإن السير إلى الله تعالى على قدر التفرغ من الشواغل والعلائق فبقدر ما يتفرغ القلب من العلائق. تشرق عليه أنوار الحقائق. فرغ قلبك من الأغيار، تملأه بالمعارف والأسرار، وورود الإمداد على حسب الاستعداد، والاستعداد للواردات الإلهية هو تفرغ القلب مما سوى الله فإن تفرغتم من هموم الدنيا أشرقت عليكم الآخرة وإن تفرغتم من هموم الآخرة أشرقت عليكم أنوار الذات العلية وكفاكم الله أمر الدارين. أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإن شهدت المكون كانت الأكوان معك. فاشتغلوا بربكم يكفكم مآربكم فمن وصل إلى مقام الفكرة فلا يفتر عنها حتى يتمكن من دخول الحضرة ومن دخلها كان آمنا ومن لم يصل إلى الفكرة فذكر اللسان لا يفتر عنه ساعة مع الحضور والعزلة إلا في وقت الاجتماع على ذكر الله. وتهلوا فى حسن الخلق مع كل مخلوق فإنه يعدل الصيام والقيام، وخصوصا مع أهل الدار والجيران، فإن لهم حقوقا علينا أكثر من غيرهم. وذكروا كل من لقيكم من الرجال والنساء ودلوا الناس على ما يقربهم من مولاهم ولا تصغروا أنفسكم فإنكم إن شاء الله أهل التذكير. وأْمُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخصوصا هذا الماء الفاسد الذي عمت به البلوى في هذه الجبال، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فاعملوا جهدكم في الإنكار على من يفعله ويكون ذلك أولا برفق ولين، فإن لم ينته فالتخشين والتخويف بالمخزن. وكذلك هذه البدع التي تفعل في الأعراس كاختلاط النساء بالرجال إن بقي عندكم منها شيء فاقطعوه، والله ينصركم ويؤيدكم بنصره. قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1]. والسلام.

وكتبت لهم رسالة أخرى ونصها: بعد الحمد والصلاة . . .

إلى كافة الأحباب من فقراء بني حسان، حسن الله أحوالكم وأدام إحسانه

(1) سورة محمد، الآية 7.

إليكم. السلام عليكم والرحمة والبركة والعافية.

أما بعد فنحبكم بارك الله فيكم أن تشدوا يدكم على الشريعة المحمدية فإنها مفتاح لباب الطريقة والحقيقة، فكل من ترك منها شيئا طرد وأبعد ولو كان واصلا. فالأبواب كلها مسدودة إلا من أتى من باب الشريعة وهو ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2].

والذي أتى به الرسول عليه السلام هو فعل الفرائض وهي معلومة، وترك المحرمات وهي مشهورة،كأكل الحشيشة وشرب الخمر وتنفيح طابة وغير ذلك من المحرمات، فإن هذه كلها من الخبائث التي نهى الله عنها ورسوله، وكذلك أموال الناس كلها حرام إلا ما كان بطيب نفس صاحبها، فلا تقربوا شيئا من ذلك فإن فعل ذلك من فعل الفجار. وأما الصالحون الأبرار فهم منزهون عن ذلك وكذلك المتوجهون إلى الله من أهل النسبة فهم أبعد وأبعد من ذلك، إذ هم رضي الله عنهم زهدوا في الحلال إلا ما لا بد منه فضلا عن الحرام. وكل من رأيتموه يفعل شيئا من ذلك كأكل الحشيشة مثلا أو طابة ففروا منه وتعوذوا بالله منه فإنه شيطان من شياطين الإنس سلطه الله على أهل النسبة ليختبرهم هل يثبتون على الصراط المستقيم أو يعوجون عنه، فإياكم ثم إياكم أن تقتدوا به أو يغركم بقوله أو يميل بكم إلى الرخص والتأويلات فإنها سبب البطالة والخسران ونحبكم أن لا تتكلموا في الحقيقة مع أحد قط ممن لم يطلع عليها، فإنها تحل

(1) سورة الحشر : الآية 7.

(2) سورة آل عمران، الآية 31.

المريد وتفسده قبل تربيته وكمال تهذيبه، فسدوا باب الحقيقة ولا تتكلموا إلا في الشريعة والطريقة، وكل من جاء يذكركم بغيرها فلا تسمعوا منه، وقللوا من الأسباب ما استطعتم، واقنعوا بما تيسر من الرزق فإن رزق الأشباح مضمون ما قل منه يكفي، ولا تحرصوا إلا على رزق الأرواح وهو ذكر الله وزيارة المشايخ والإخوان وخدمتهم فلا تقنعوا منه بقليل ولا كثير، وكذلك الفكرة والنظرة لمن قدر عليها فإنها سبب الغنى والفوز العظيم، ولا تكون إلا مع التفرغ الكبير قلبا وقالبا والسلام .

وكتبت رسالة أخرى إلى فقراء تازة ونصها.

بعد الحمد والصلاة . .

إلى كافة الأحباب من فقراء تازة وغيرهم المتجردين والمتسببين السلام عليكم والرحمة والبركة والعافية .

أما بعد: فنتيجة صحبة الرجال، هو تحقيق مقام الوصال، والوصول هو الفناء في الذات الذي هو مقام الإحسان، وهو مقام الشهود والعيان، حتى يفنى الكون ويبقى المكون.

ونقول يفنى الحس وتبقى المعنى فيغرق العبد في بحر المعاني، وتسقط من رويته حس الأواني، فكل من صحب الرجال ولم يبلغ لهذا المقام فهو معلول إما همته ضعيفة أو قريحته باردة، أو وقع له غلط حتى قنع بحاله وذلك من قلة صحبته. فكونوا بارك الله فيكم من أهل الهمم العالية، فلا ترضوا بغير الوصول إلى الحضرة القدسية، ولتكن قريحتكم وقادة، وهمتكم عالية، والقريحة هي الولاعة. الفقير الصادق لا تجده إلا ذاكرا أو متفكرا أو تاليا أو مصليا، أوقاته معمورة، وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة، إن تكلم فبذكر الله، وإن صمت فعن الغيبة في الله، يجول بفكرته في عظمة الله، فالفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له، فليس للقلب إلا وجهة واحدة إن وجهته لله بالفكرة أو النظرة كان سائرا،

وإن وجهته لهموم الدنيا وأشغالها كان واقفا بطالا.

وقد قال عليه السلام: <<سيروا فقد سبق المفردون>>. قيل وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: المستهترون بذكر الله أي المولعون به.

فلكل مقام عمل فأهل التجريد عملهم الفكرة أو النظرة أو العكوف في الحضرة مع الفرار من محل العلائق والشواغل، فإن تركوا عملهم هذا كانوا بطالين شعروا أم لا، وأهل الأسباب عملهم ذكر اللسان على الدوام، والمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعة والقناعة من الدنيا وترك الفضول من كل شيء. والفضول هو الزيادة على الحاجة ولاسيما في الكلام.

قال عليه السلام: << من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه >>.

وما لا يعني هو الذي لا فائدة فيه. فالفقير الصادق يقضي ألف حاجة بكلمة واحدة، والفقير الكاذب يتكلم ألف كلمة يقضي حاجة واحدة كما قال شيخنا رضي الله عنه. فانهضوا بارك الله فيكم بأجمعكم إلى الله حتى تصلوا إلى حضرة الله فتكونوا من أولياء الله.

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

والولي هو الذي تكون همته الله وشغله الله وفناؤه في الله فمن جعل الهموم هما واحدا وهو الله كفاه الله هم دنياه وأكرمه في أخراه وقام بأموره كلها على ما يحبه ويرضاه. ومن تشعبت به الهموم مات في أودية الهموم. جعلني الله وإياكم ممن قصر همته على الله. ولم يلتفت إلى شيء سواه آمين والسلام.

وقد كتبت رسالات أخر إلى فقراء انجرة والفحص وطنجة وكتبت إلى فقراء العرائش وإلى علماء سلا والرباط لكن لم نأخذ منهم نسخة أخرى. فالله يديم النفع بالجميع آمين.

(1) سورة يونس، الآية 62.

وقد وضعت حزب الحفظ والتحصن ونصه:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾. ﴿ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ يا حفيظ يا عليم يا علي يا عظيم أسألك باسمك الأعظم وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ألا تسلط علينا جبارا عنيدا، ولا شيطانا مريدا. ولا ضعيفا من خلقك ولا شديدا. اللهم احفظنا بعين رعايتك، واكلأنا بسابق عنايتك وتولنا بسر ولايتك، كما توليت أنبياءك ورسلك وخاصة أوليائك إنك على كل شيء قدير. اللهم أدخلنا في حرز حصنك المنيع، واضرب علينا سورا منيعا من سرادقات حفظك يا سريع. واكلأنا بعين العناية منك يا سميع.

اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام. واكنفنا بكنفك الذي لا يرام. وأدخلنا في حمى جوارك الذي لا يضام، يا ذا الجلال والإكرام. إلهنا توليت حفظنا قبل كوننا ونحن في غيب الأرحام. فكيف لا تحفظنا وأنت الحفيظ لجميع الأنام.

إلهنا من سبقت له منك العناية، كان محفوظا في جميع الأوقات، ومن لحقته منك الرعاية كان ملطوفا به في جميع الحالات. لا تخرجنا عن دائرة الألطاف، وأمنا من كل ما نخاف.

إلهنا، قد علمنا أن قضاءك النافذ في العبيد، فلا ترده همة عارف ولا مريد. لكن لطفك الخفي، وتأييدك الوفي، يجريان مع كل قضاء عند كل عارف وولي. فأشهدنا ذلك اللطف الخفي في جميع الأقدار، وارزقنا ذلك التأييد الوفي عند هجوم الأكدار، يا كريم يا حليم يا غفار.

اللهم احفظ قلوبنا من الزيغ والعناد، واعصم جوارحنا من البغي والفساد،

واسلك بنا مسالك أهل المحبة والوداد، إنك لا تخلف الميعاد.

اللهم احفظ أرواحنا من خوض الأغيار، وصن أسرارنا من لوث الآثار، ومن الوقوف مع الأنوار، حتى لا نشهد إلا إياك في السر والإجهار.

اللهم احفظنا من القواطع والعلائق. ومكن أسرارنا من أنوار الحقائق، حتى ننخرط في سلك المقربين السوابق.

اللهم حفنا برعايتك، وخصنا بعنايتك، وأدخلنا في حصن حمايتك، واجعلنا من الصالحين.

اللهم احفظنا من جميع الفتن، وعافنا من جميع المحن. إنك ذو الجود والامتنان.

اللهم يا شديد البطش يا جبار يا قهار. يا من لا يعجزه قهر الجبابرة، ولا يفوته هلاك الملوك الأكاسرة. اجعل كيد من يردنا في نحره، ومكر من مكر بنا عائدا عليه. اللهم لا تمكن الأعداء منا، ولا تسلطهم بذنوبنا علينا.

اللهم اكفنا شر العدا، ولاقهم الهوان والردى، وعاجلهم بالعقوبة في اليوم والغدا. أو ردهم إليك بسابق اللطف والاهتداء. اللهم إن سبق لهم منك الطرد والبعاد، فلا تسلطهم على أهل المحبة والوداد.

اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، ونتحصن بك من كيد غرورهم. اللهم اضرب بيننا وبينهم ﴿ بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾. يا كريم يا وهاب. اللهم بدد شملهم، وفرق جمعهم، وأبطل كيدهم. وفل حدهم، ومزقهم كل ممزق. واجعلهم عبرة لمن بعدهم. واجعل دائرة السوء عائدة عليهم. ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ

مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾. حم لا ينصرون. حم لا ينصرون. حم لا ينصرون. ألف بسم الله الرحمن الرحيم عن يميني، وألف بسم الله الرحمن الرحيم عن شمالي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من أمامي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من خلفي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من فوقي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من تحتي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم محيطة بي، ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾. ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته، وممن استهداك فهديته، ومن استنصر بك فنصرته، وممن استحفظك فحفظته، إنك على كل شيء قدير. اللهم احفظني في ديني وأهلي ومالي وإخواني. اللهم اجعلني وإياهم منك في عياذ منيع، وحرز حصين، من جميع خلقك، حتى تبلغنا أجلنا معافين يا أرحم الراحمين. تحصنت بلا إله إلا الله، واعتصمت بلا حول ولا قوة إلا بالله، وتشفعت بسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اللهم بك أدافع، وبك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل، لا طاقة للخلق مع قدرة الخالق. حسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (7مرات) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

ووضعت حزب العز والنصر وهو هذا:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

بيدك الخير. إنك على كل شيء قدير. تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب. وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا.

يا عزيز يا قوي يا عظيم. يا علي يا فتاح يا غني. أسألك بعزة ذاتك، وبهاء صفاتك، وقهر سطواتك، ونور سبحاتك، وبمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وبعز عزك، ونصر نصرك. أن تمنحنا عزا شامخا، ونصرا باذخا. تخضع لسطوته الجبابرة والطغاة. وترعد من هيبته الملوك والولاة. فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا. إن هذا إلا ملك كريم.

يا من تعزز بكمال قدرته. واحتجب بنور عظمته، فلا تدركه الأبصار، ولا تحيط بكنه ذاته الأفكار. أسألك عزا باهرا، ونصرا ظاهرا وفتحا كاملا، وغنى شاملا. ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾.

اللهم بعز جبروتك، وكبرياء ملكوتك، وسرعة إغاثتك لأوليائك. وغيرتك لانتهاك حرمة أصفيائك، أدخلنا في سرادقات عزك المتين. واضرب علينا سورا من سور حفظك الحصين، يا حفيظ يا قوي يا مبين، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

اللهم أعزنا بعز الطاعة والإيمان، واحفظنا بحفظ المراقبة والإحسان، وتول أسرارنا بما توليت به أهل العناية والعرفان. يا كريم يا حنان يا منان. ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦ ﴾.

اللهم يا من اختص بكمال العزة والجمال. وتردى برداء الكبرياء والجلال. أسألك عز الدنيا على نعت التمام ووصف الكمال. عز الدنيا بالمعرفة والإيقان، ودوام الاستغراق في الشهود والعيان. وعز الآخرة بنيل الرضى والرضوان، والكون في مقعد صدق عند الكريم المنان، يا رحيم يا رحمن.

اللهم يا حليم يا غفور، يا ودود يا شكور، اجعلنا من جندك الغالب، وحزبك المنصور.

اللهم انصرنا ولا تنصر علينا، واحفظنا بما حفظت به الذكر الحكيم، وانصرنا بما نصرت به الرسل. إنك على كل شيء قدير.

اللهم اجعلنا من الذين اصطفيتهم لحضرتك، وأتحفتهم بمحبتك، حتى خدمهم الدهر والزمان، وانقادت لطاعتهم الأكوان. فاستغنوا بك عن كل شيء، وأمنوا بك من كل شيء، وخافهم كل شيء، إنك على كل شيء قدير.

اللهم يا وهاب يا رزاق. يا باسط يا واسع. ابسط لنا من رزقك الواسع، ما تجبر لنا به خلة الفقر والهلع، وسد عنا به باب الحرص والطمع. نشهده منك فنكون من الشاكرين. ونضيفه لك ولا نضيفه لأحد من العالمين.

اللهم أغننا بك عن رؤية الوسائط والأسباب، ووصلنا بك إليك يا مالك الملوك ورب الأرباب.

اللهم يا حفيظ يا عليم، يا رؤوف يا رحيم، احفظني في أهلي وتركتي، وأصلح لي ذريتي. واجعلني من الصالحين.

اللهم أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي. إني تبت إليك وإني من المسلمين.

اللهم اجعل دارنا مأوى للعز، وكهف الأمان، يأوي إليه أهل العناية والعرفان. يا رحيم يا رحمن.

اللهم خصنا بالحفظ والعناية. ومن تعلق بنا بالعز الشامل والولاية. ومن أحبنا فيك بحسن الختام وتمام الرعاية، إنك على كل شيء قدير. لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله. لا إله إلا هو، عليه توكلت. وهو رب العرش العظيم.

اللهم صل على سيدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك، وعينه من جمالك. فأصبح فرحا مؤيدا منصورا، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. والحمد لله على ذلك. فرج عنا يا مولانا، وأيدنا واهدنا، وانصرنا بك لك، بحرمة وجودك القديم الأزلي، الذي ليس له عدم سابق ولا لاحق، سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين. انتهى.

ووضعت أيضا حزب الفتح وهو هذا

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم ملك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم ولا الضالين.

بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا. نصر من الله وفتح قريب. وبشر المؤمنين.

اللهم يا فتاح يا عليم، يا علي يا عظيم، يا حليم يا كريم، أسألك بمفاتح غيبك، ومواهب سبيلك، وبأسرار كتابك، وبما استفتحت به على أصفيائك وخاصتك وأوليائك. أن تفتح بصائرنا بشهود ذاتك، وأنوار صفاتك، حتى نعرفك حق معرفتك. إنك على كل شيء قدير.

اللهم افتح لنا من فيض أسرار العلوم، ومكنا من خزائن الفهوم. واكشف عن قلوبنا أكنة الحجاب. يا حي يا قيوم.

اللهم افتح أبصارنا لشهود عظمتك. حتى نراك بك لا بغيرك، وافتح أسماعنا لسماع كلامك، حتى نسمع بك منك، وافتح قلوبنا لورود مواهب غيبك، حتى تمتلئ بأنوار محبتك، إنك ذو الفضل العظيم.

اللهم يا فتاح يا رزاق. ارزقنا من قوت أشباحنا ما تسد به علينا باب الفقر إلى خلقك. ومن قوت أرواحنا ما تغنينا به عن شهود غيرك، ومن قوت أسرارنا ما تجمعنا به دائما في حضرة قدسك. إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا. فوصِّلنا لنا بالهناء والسلامة. مصانين فيها بالمحبة، محفوفين فيها بأنوار الوصلة. نشهدها منك فنكون من الشاكرين. ونضيفها لك ولا نضيفها لأحد من العالمين.

اللهم إن الرزق بيدك، رزق الدنيا ورزق الآخرة، فارزقنا منهما ما علمت فيه المصلحة، والعود بالجدوى علينا، إنك على كل شيء قدير.

اللهم افتح لنا ما عسر علينا من أمورنا، وفرج عنا ما ضاق من أحوالنا. وأبدل ساعة العسر باليسر كما وعدتنا. إنك لا تخلف الميعاد.

اللهم ضاقت المذاهب إلا إليك، وخبت الأمل إلا لديك. وبطل التوكل إلا عليك، رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. إلهنا انقطعت آمالنا – وعزتك- إلا منك، وخاب رجاؤنا – وحقك- إلا فيك. وانقطع اعتمادنا – وحياتك- إلا عليك.

[1] إن أبطات غارة الأرحام وابتعدت * فأقرب الشيء منا غارة الله

[2] يا غارة الله جدي السير مسرعة * في حل عقدتنا يا غارة الله

[3] لا نرتجي كشف كل حادثة * في كل نائبة إلا من الله

إلهنا لطفت بنا قبل كوننا، ونحن للطف غيرك غير محتاجين. أفتمنعنا منه

مع الحاجة إليه. وأنت أرحم الراحمين.

إلهي، العجل العجل. الاستجابة الاستجابة.

إلهي. الإغاثة الإغاثة. يا من أجاب دعوة زكرياء، ويا من سمع تسبيح يونس بن متى. ويا من كشف ضر أيوب. ويا من رد يوسف على يعقوب. ويا من أجاب إبراهيم قبل السؤال. ويا من أعطى حبيبه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فوق ما أمل، اجب دعاءنا فيما سألناك. وافتح علينا سريعا فيما أملناك. يا أمل المؤملين، ويا غاية قصد الراجين، حاشاك أن تخيب من قصدك وتحرم من سألك. وأمرك بين الكاف والنون. إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

انتهى حزب الفتح وبه ختمت الفهرسة بحمد الله وحسن عونه بعد ظهر تاسع ربيع النبوي عام ثاني وعشرين ومائتين وألف عرفنا الله خيره وصرف عنا شره آمين.

وفيه غارت بنو حسان على بني سعيد معتمدين على عدتهم وعددهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

*****

انتهى استخراجه من مبيضته بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه ضحوة يوم الاثنين العاشر من الشهر المذكور على حسب التاريخ المذكور.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما على يد كاتبه

لمؤلفه رضي الله عنه وأرضاه العبد الفقير المضطر إلى رحمة مولاه العلي الكبير عبد الغفور بن التهامي البناي كان الله له ولأشياخه ولجميع الإخوان.

قلت: ونقلته هنا من كناش مخطوط بخط يد الشريف المحترم، سيدي محمد بن محمد الزيدي المدعو: الحفيد. وقد فرغ هو من نسخ هذه الفهرسة يوم: 20 جمادى الثانية، عام: 1392 هجرية، وتم بحول الله وعونه وحسن توفيقه نسخناها بيدنا، يوم الاثنين: 12 ربيع الأول، عام: 1398 هجرية، موافق: 20 فبراير، سنة: 1978 ميلادية – عبد ربه، وراجي عفوه: عبد السلام بن عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي – لطف الله به في الدارين – آمين.

تمت الفهرسة

فهرس الكتاب

تقديم وإعداد للفهرسة 3

نماذج من صور المخطوط 7

مقدمة المؤلف 9

الفصل الأول/ ذكر أسلاف ابن عجيبة وما يتعلق بنسبه 11

الفصل الثاني/ ذكر النشأة والتربية الحسية 20

الفصل الثالث/ ذكر ابتدائه لطلب العلم الظاهر 23

ذكر سنده في الحديث النبوي والفقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 27

ذكر إجازة أشياخه 31

ذكر ما جمعه من التصانيف 35

ذكر انتقاله إلى العمل والتجرد للعبادة 37

ذكر انتقاله لعلم الباطن 43

ذكر خدمته للشيخ بنفسه وماله 45

ذكر سياحته في بداية أمره للذكر والتذكير 49

للذكر والتذكير 49

ذكر ما ارتكبه في سيرته من الأحوال وما لقيه من الأهوال في طريق الوصال 53

ذكر امتحانه بالسجن والخروج من الوطن 59

ذكر سنده لطريق التصوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم..... 63

ذكر من شهد له بالخصوصية على وجه الإخبار من المشايخ وغيرهم 71

ذكر ما شهده من الكرامات الحسية والمعنوية..... 77

ذكر من أخذ عنه التربية النبوية من الفقراء المتجردين والمنتسبين 83

ذكر ما تزوجه من النساء وما ولده من الأولاد 85

ذكر ما كان حصله من العلوم الظاهرة والباطنة..... 97

ذكر ما أجرى الله على لسانه من الكلام والحكم نظما ونثرا 115

فهرس الكتاب..... 157